روايات عبير الجديدة

روبرتالي

الطريق المسدودة

WWW.REWITY.COM
مرمورية

عدد ممتاز

١

الطريق المسدودة

روبرت تايلي

كانت فيليبا قد استقرت أخيرا في وظيفة ممتازة في الصفحة الداخلية الرئيسية لصحيفة كبيرة عندما ارتكبت الخطيئة الرئيسية بالتعامل شخصيا مع القراء. والأسوأ أن الفتاة التي شجعتها على الهرب مع صديقها لم تكن سوى ابنة أخ رئيسها، ملك الصحافة الزائع ماريوس ليون! وهكذا، وعلى الرغم من أن فيليبا لم تقابل ذلك الرجل حتى تلك اللحظة، لم يكن مندهشا تماما عندما صرفها من الخدمة. ولكن لم يكن ذلك دون شك نهاية ماريوس ليون فيما يتعلق بفيليبا! فبالواقع استمرا في اللقاء.. تبادل الكلمات.

وحتما، انتهى الأمر بها الى الوقوع في حبه. وحتماً، كان على فيليبا ان تعترف أن لا شيء قد ينتج عن هذا الحب. لأن، حتى ولو نظر اليها ماريوس كزوجة المستقبل، فسكون لدى سيلا الفاتنة، الأسباب الكافية، مع كل الوسائل، لتتأكد من عدم حصوله عليها.

١. قلوب منكسرة

كانت اللوحة الزجاجية التي تحمل اسم «منشورات ليون» تحتل زاوية كاملة في نهاية شارع فليت بنفس الطريقة التي تحتل بها الصحف والمجلات الصادرة عنها الأسواق.

فيليبا روجرز، كعادتها دائماً، عندما تخرج كل صباح من محطة المترو تحت الأرض وتطالعها اللوحة، لا تصدق أن حظها الطيب قد جعلها تعمل هناك. لا كمراسلة، بل كمساعدة للسيدة جيسيكا هيرد المسؤولة عن تحرير المقالات التي تدعى عادة «القلوب الباكية».

كانت فيليبا في البداية خائفة من عملها في هذه الصفحة، إذ لم تكن معتادة على الرسائل المفعمة بالعاطفة والصرخات المتوجعة للنساء المتكسرة قلوبهن، طلباً للنصيحة. فقد أتت الى هنا لتكون مراسلة أخبار، ولكن رئيس التحرير نظر إلى الأمور بشكل مختلف، فجادلها بالأمر قائلاً:

- انتظري لتبدأي العمل مع جيسي قبل أن تقرري رفض الوظيفة ستتعلمين منها أكثر كيف تصبحين مراسلة.

- ولكن هناك قصص أخرى غير الجرائم واطلاق النار أستطيع ملاحقتها.

- ليس لك أيتها الشابة فهذه القصص تقطع أنفاس المراسلين الشبان سعياً وراءها! وتستطيعين اعتبار نفسك محظوظة لأن السيدة

هيرد قرأت مقالك عن المتقاعدين المسنين، وأعجبها أسلوبك فطلبت تعيينك معها.

ـ لا أعرف أين هي الميزة، فالعمل في مقالات لتقديم النصائح لن يعلمني أي شيء عن الصحافة.

ـ سوف يعلمك كيفية فهم الناس، وظروفهم، وهذا هو أساس الصحافة وليس فقط كتابة الأخبار، بل صياغتها بشكل يستطيع الناس فهمها والشعور بها دون فرض رأي متحيز. فماريوس ليون، صاحب الشركة، يرغب أن يكون الكتاب عنده لهم ميول، وهذا يعجبه طبعاً، فكل واحدة من منشوراته لها شخصيتها وميولها الخاصة. وليس هناك صحيفة في العالم تعطيك أخباراً واضحة دون ميول متحيزة.

وكانت هذه حقيقة اضطرت فيليبا أن تقر بها، ولو على مضض، لأنها اشفقت من خسارة الوظيفة، ومع ذلك فعندما ستبنى لنفسها اسماً، ستمثل لأن تُعرف كصحفية واقعية، ولكن حتى ذلك الوقت الذي تستطيع فيه إعطاء الأوامر بدل تلقيها، لزام عليها أن تعمل كما يقال لها. وقاطع كيندي جونز، رئيس التحرير، حبل تفكيرها:

ـ حسناً هل ستعملين كمساعدة للسيدة هيرد أم أعرض الوظيفة على شخص آخر؟

ـ سأقبل بالعمل.

وقدمت نفسها الى مكتب جيسيكا هيرد في نفس ذلك الصباح.

جيسيكا هيرد، المعروفة باسم «العزيزة جيسي» لدى خمسة ملايين قارىء، كانت مثالاً للصحة الريفية، كانت امرأة مليئة الجسم في أواخر العقد الخامس من عمرها. ولكن مظهرها غير المعقد كان يخفي ذهناً متوقداً حاداً يشعر به كل انسان لا يتبع أوامرها. فالطاعة هي المطلوبة في كل ما يتعلق بالعمل في قسمها.

تقديس السيدة هيرد لقرائها كان التزاماً عليها تماماً كما هو تقديس القراء لها. وفي خلال بضعة أسابيع من العمل معها، استطاعت فيليبا

أن تعرف السبب. فالسيدة هيرد لم تعتبر أية صرخة للمساعدة من الضعف بحيث تتجاهلها، وحتى لو أتت من رجل في الثمانين يعيش في الريف أو من زوجة رجل سياسي تبحث عن نصيحة خاصة حول ما سترتديه في الزيارة المقبلة مع زوجها الى أميركا الجنوبية. فالجميع يتلقى نفس الاهتمام الجاد والجواب المدروس. والكثير من هذه الطلبات التي يتلقاها قسم «العزيزة جيسي» كان من الممكن أن يتعامل معه أي قسم آخر بسهولة، هكذا كانت تعتقد فيليبا. وصارحت السيدة هيرد بهذا في أحد المناسبات:

ـ انك تتركين للناس فرصة استغلالك.

ـ أنا هنا لأقدم لهم المساعدة.

ـ هذا لا يعني أن نقوم بعمل الآخرين لقد عالجنا ثلاثة رسائل حول أسعار المواد الغذائية، ولم يكن من الواجب أن تأتي الينا بالمرة، بل الى قسم التحرير.

وأجابت جيسيكا بهدوء:

ـ أعتقد أن من واجبنا أن نعرف شيئاً حول الأسعار، فكل ما يؤثر على حياتنا، ان كان أسعار الخبز أو ارتفاع أسعار الأدوات الصحية من الممكن أن يزيد الضغط على المرء، ونحن هنا لنتعامل مع هذا الضغط. ان هو أتى من وسائل التهوئة أم من الاجهاض. أو من آلة غسيل لا تعمل!

ـ ولكنني لا أزال أعتقد أنك تتركين الناس يفرضون أنفسهم عليك. فأنت تعملين بكثير من الجهد.

ـ إذاً، يتوجب عليك أن تساعديني، فأنت أكثر من قادرة على التعاطي مع الرسائل بنفسك.

السماح بالرد على أية رسالة ترد الى «العزيزة جيسي» دون عرضها على جيسيكا هيرد أولاً، تشريف نادر، لم يعط سوى لفتاتين فقط من أصل اثنتي عشر موظفة. وتذكرت فيليبا كيف أنها قبلت العمل في هذه

الصفحة على مضض. وتعجبت كثيراً كيف أن نظرتها قد تغيرت في مثل هذا الوقت القصير. وفهمت الآن ما عناه كنيدي جونز عندما قال ان معرفة مشاكل الناس سيساعدها لأن تصبح صحفية أفضل. وكان من الأفضل ان يقول ان شعور الاشفاق سيساعدها لأن تكون شخصاً أفضل، لأن أي شيء يزيد من اهتمام المرء بالآخرين، ينعكس حتماً على نوعية عمله.

بعد ستة أشهر من الانضمام الى صفحة «العزيزة جيسي» أعطيت فيليبا فرصة للعودة الى «مكتب الأخبار» ولكنها في ذلك الوقت أصبحت متورطة بما كانت تعمل به بحيث انها رفضت العودة. ولم تعلق جيسيكا هيبرد على هذا القرار ولكن بعد أسبوع، وجدت فيليبا نفسها وقد أعطيت فرصة كتابة العمود الرئيسي في الصفحة.

ومنذ ذلك الوقت نُظر إليها على أنها المساعدة الشخصية للسيدة هيبرد، وأطلقت الفتيات عليها اسم «جيسي الصغيرة» كمداعبة لها. واستغلت هذه المداعبة لوثبة جديدة، وكان للجهد المثابر لمتابعتها للكثير من مطالب الرسائل أكثر من مكافأة برسائل شكر تلقتها. وكان أصحاب الرسائل يعربون عن الأمل بلقاء «العزيزة جيسي» وجهاً لوجه، ولكن السيدة هيبرد كانت ترفض دوماً، وكانت تحذر فيليبا من الأمر:

ـ تستطيعين تقديم أفضل نصيحة فقط إذا بقيت بعيدة عن التورط والانحياز وأفضل ما تملكه «عدم التحيز».

فتضيف فيليبا مداعبة:

ـ إنه يجعل من صفحتنا الصفحة الوحيدة غير المتحيزة في «منشورات ليون». واضحكت هذه الملاحظة السيد هيبرد، وأجابت:

ـ إن خلفيات حياة السيد ليون لا تشجعه أن يكون دون تحيز، وأي رجل شق طريقه من لا شيء يجب أن يكون له إيمان كبير بنفسه وبما يفعل. وهذا الايمان لا يتماشى مع العمل دون تحيز.

كانت فيليبا تتذكر هذه الملاحظات بينما كانت تسير عبر المدخل الرخامي لمبنى «منشورات ليون»، ثم دخلت أحد المصاعد نحو الطابق الثاني عشر. من الغريب التفكير بأنه قد مضى عليها سنة من العمل هنا ومع ذلك لم تقابل الرجل الذي يسيطر على هذه الامبراطورية الواسعة. في الواقع، كانت جيسيكا هيبرد واحدة من الناس القلائل ممن تعرف أنهم قد قابلوا ماريوس ليون. ولكن من المعروف أن أكثرية أصحاب الصحف الكبيرة يعانون الخجل من ظهورهم الشخصي. ليس لديهم أي ضير من نشر اسم أي شخص آخر وصوره على صفحات صحفهم ومجلاتهم ولكنهم يستخدمون كل نفوذهم للتأكد من عدم حدوث نفس الشيء لهم.

لسبب ما كانت فيليبا تفكر بمخدومها الذي لم تشاهده ولم تعرفه، بينما كانت تضع الرسائل المكدسة على طاولتها. ومالت الى الخلف لتنظر عبر الحاجز الزجاجي: زميلتها في المكتب المجاور لديها نفس الكومة من الرسائل.

ونظرت الى ساعتها، وتغيرت ملامحها مندهشة عندما وجدت أن الوقت أصبح العاشرة والنصف ولما تأت السيدة هيبرد بعد، لم يكن من عادتها أن تتأخر الى هذا الوقت، أو على الأقل لم تفعل ذلك في الأسابيع الأخيرة. ولكن فيليبا تذكرت أنها كانت تتصرف في وقت أبكر من الجميع بشكل متكرر.

ووصلت السيدة هيبرد أخيراً. ظاهرياً كانت تبدو في حالة طبيعية، ولكن عندما اقتربت من طاولة فيليبا لتطلع على بعض الأجوبة المكتوبة بقلم الرصاص والمثبتة الى كل رسالة، لاحظت فيليبا أن يديها ترتجفان، فسألتها:

ـ هل حدث شيء؟

ـ لا يا عزيزتي.

وكان صوت جيسيكا هيبرد هادئاً كالمعتاد، ودون أن تقول شيئاً آخر، دخلت الى مكتبها. وعملت باقي اليوم بطاقة رهيبة.

وبحلول الساعة الخامسة كان الجميع من حولها مرهقون، ولو أنها هي نفسها لم تظهر أي دليل على التعب عندما استدعت فيليبا لمناقشة الرسائل التي ستنشر في اصدار يوم الأربعاء. وقالت فيليبا:

ـ هذه اقتراحاتي.

وسلمتها بعض الادوات المطبوعة على الآلة الكاتبة وتابعت:

ـ لقد اضطررت الى ايجاز الرسالة الرئيسية بعض الشيء ولكن الباقي لم يمس تقريباً.

وراجعت جيسيكا الرسائل بسرعة، ولاحظت فيليبا أن عينيها كانتا تنظران الى الهاتف وكأنما تتوقع أن يدق.

ـ أنا أحب اختيارك الرسائل، ما عدا الرسالة الرئيسية. نستطيع أن نختار أخرى. أمامي رسالة الآن جديرة بالطبع. إنها من رجل تركته زوجته، ويجد من المستحيل أن يعيش دونها.

ـ لم أظن أن مثل هذه المشكلة تؤثر على الرجال!

ـ عادة. ينتحر الرجال أكثر من النساء من تأثير الوحدة. فالنساء مخلوقات أقوى، من المفترض أن يكن كذلك.

ـ هل كتبت الرد على الرسالة بعد.

ـ لا. سأفعل الآن. ولكنني أود التأكد أنك توافقين على اختياري.

ـ وهل أجرؤ على عدم الموافقة!

وابتسمت جيسيكا، ورن جرس الهاتف، والتقطته بلهفة وبدا اللون يهرب من بشرتها وهي تستمع. ودون كلمة ذهبت فيليبا الى الخزانة قرب النافذة، وأخرجت شراباً منعشاً وصبت كأساً ووضعته في يد جيسيكا. متمتمة «اشربيه» ووضعت جيسيكا السماعة في نفس الوقت الذي كانت ترفع فيه الكأس الى شفتيها المرتعدتين، وبادرتها فيليبا:

ـ إذا كانت هذه مكالمة بذيئة..

وقاطعها صوت جيسيكا الضعيف بثبات.

ـ إنها من المستشفى، لقد أدخل زوجي إليها هذا الصباح. واتصلوا بي لابلاغي أنهم سيجرون له عملية صباح الغد.

ولم تستطع فيليبا اخفاء دهشتها.

ـ لم أعرف أبداً أن السيد هيبرد مريض.

ـ لم نتكلم عنه من قبل.

ـ أنا آسفة لم أقصد التطفل.

ـ لا تكوني سخيفة فأنت آخر شخص في الدنيا يمكن أن يكون متطفلاً.

ومال الرأس الرمادي الى الطاولة حتى اختفت عيناها.

ـ لقد كان يعاني من متاعب في القلب. ومنذ زمن ونحن نتجادل حول اجراء عملية له. فهناك مخاطرة كبيرة. ولا شيء مؤكد. ولكن لا مفر الآن، لقد تقرر الأمر.

ـ هل تحبين أن آتي معك الى المستشفى؟

ورفعت رأسها الرمادي.

ـ هذا لطف منك، ولكنني أفضل أن تبقي هنا لتكتبي الصفحة والافتتاحية عني.

ـ الصفحة كلها؟

ـ باستطاعتك ذلك، فهذا ما كنت أدربك من أجله.

ولم يكن أمام فيليبا شيء تقوله. فقد كانت دائماً تتساءل عما ستشعر به إذا طُلب منها أن تحرر الصفحة كلها، ولكن مجرد التفكير كان يجعل معدتها تتقلص، وبما أن هذا التوقع أصبح واقعاً، لم تعد تشعر بالخوف، ربما لأن الفرصة أتت من سوء طالع السيدة هيبرد.

ـ سأكون مسرورة أن أفعل هذا من أجلك. هل لديك أية ملاحظة تحبين أن اتبعها؟

ـ لا، أريد أن تكون الصفحة لك بالكامل. ولكن تذكري فقط ما قلته لك من قبل «إن الرجال يتأثرون بعض الأحيان من الوحدة أكثر من النساء».

ووعدتها فيليبا أن لا تنسى، ورافقتها الى آخر الممر. ومع أن ذهنها

كان منشغلاً بمشكلة السيدة هيبرد، فقد تذكرت بعض الملاحظات التي كانت تنتشر في المكتب حول حياة رئيستها الخاصة فليس لديها أولاد، وتملك شقة في البلد ومنزل في الريف، يشاركها فيهما زوج أكبر منها بعشر سنوات ويعمل في وظيفة ما في المدينة.

وسألتها فيما هما تنتظران المصعد:

ـ هل كان السيد هيبرد مريضاً منذ مدة طويلة؟

ـ لقد كان يعاني من قلبه دائماً. ولكن الأمر أصبح أكثر سوءاً في السنوات القليلة الماضية.

ـ إنه قرار خطير لاتخاذه، إما العيش تحت الخطر أو المخاطرة باجراء عملية غير مضمونة.

ـ لو ترك الأمر لفرانك لاختار اجراء العملية منذ سنوات. ولكنه كان يعرف أنني خائفة، وأنني أفضل أن يكون على قيد الحياة ولو تحت الخطر بدلاً من..

وفتح باب المصعد ودخلت اليه وسألتها فيليبا بقلق:

ـ هل أنت متأكدة أنك ستكونين على ما يرام لوحدك؟ أستطيع الذهاب معك، وسأكتب الافتتاحية فيما بعد هذا المساء.

ـ أفضل أن أكون لوحدي شكراً لك.

ـ اعطني اسم المستشفى على الأقل! حتى أتصل و...

ـ مستشفى القلب الوطنية.

وعادت فيليبا الى مكتبها، جاهدة لصرف القلق عن نفسها. وبدأت تكتب المقال، وكان صعباً أكثر مما تصورت، لأنها لم تشعر بأي تعاطف مع كاتب الرسالة، وصدمتها لهجته المملة. وتساءلت عما إذا كانت جيسيكا هيبرد في حالة طبيعية عندما اختارت هذه الرسالة، وراودتها فكرة استبدالها برسالة أخرى. ولكنها قررت أن عملها هذا قد يعتبر غطرسة. لا، فليكن ما يكون، يجب عليها أن تكتب رداً محترماً على الرسالة التي أعطيت لها. ووضعت أوراقاً جديدة في الآلة الكاتبة. وبدأت العمل.

ولم تشعر أبداً بصعوبة الكلمات عليها هكذا من قبل. واستمرت مفاتيح الآلة الكاتبة «تتكتك» بشكل متقطع لمدة ساعة، وأخيراً نجحت في اكمالها. وتفحصت برضى الصفحة الكاملة التي تحتوي على الرسالة والرد. وشبكت الأوراق مع باقي المقالات واستدعت أحد السعاة ليأخذها جميعاً الى المطبع. وبسبب أهمية «العزيزة جيسي» لم يكن مسموحاً بمراقبة المادة، وأي تغيير فيها بسبب المساحة ومتطلبات الحذف كان يتم التعامل بها دائماً مع السيدة هيبرد شخصياً. ولأن فيليبا كانت تعرف أن مقالاتها السابقة كانت تحوّر بشكل سيء. فقد شعرت بالسرور لأن ما كتبته الليلة لن يتغير كثيراً.

ووضعت الغطاء على آلتها الكاتبة. ووقفت أمام المرآة المعلقة على الجدار، ومررت المشط في شعرها الكثيف، البني بلون العسل. حتى في الزجاج الغامق لا يمكن إنكار روعة رونق شعرها الغني، الذي يتدلى على كتفيها كشلال من حرير، وكانت هناك خصلة فضية تعلو جبينها وتلفت النظر لأنها كانت تبدو كخيط من شعاع يمر خلال حبال من الوان الكستنا. وهي تملك الطلعة البهية متمازجة مع لون بشرة بلون الكريم وعينان كبيرتان بلون العسل، تصبحان بلون الذهب عندما تكون سعيدة وبلون بني غامق عندما لا تكون. وأنف دقيق مائل قليلاً وفم كبير حسن المظهر. وكانت طويلة بعض الشيء، ولكنها ترفض الاعتراف بأن طولها زائد، وعندما تفرض الموضة الأثواب القصيرة كانت تلبسها مع علمها بمدى تأثير ذلك على جمال ساقيها.

خلال عملها في قسم التحرير كان عليها أن تمر يومياً عبر مكاتب يسيطر عليها الرجال، حيث كانت تقتنص بضع مئات من أزواج العيون الفضولية. وتعودت بعد ارتباك أولي أن تتقبل واقع أن الشكل الجميل متوالفاً مع مشية متمايلة، يجتذب صفير الذئاب مع التعليقات الطيبة.

ولأنها كانت فتاة وحيدة بين ثلاثة أشقاء، لم تكن فيليبا أبداً محرجة

من نمو قسمات جسدها، وتقبلت هذا النمو بنفس السهولة التي تقبلت بها نمو الأجسام القوية لأشقائها، مع تصرف غير هياب من الحياة. وكان واقع استقرار اثنين منهما كمزارعين في افريقيا والثالث كمنقب عن البترول في الاسكا، الحزن الوحيد في حياتها، التي كانت ناجحة بتفوق حتى الآن. وكانت تفكر أحياناً وتتساءل عما إذا كانت علاقة حب عابرة في حياتها قد تعطي بعض الدفء أكثر في كتاباتها. والعمل في صفحة «العزيزة جيسي» كان أفضل شيء لديها، إذ يجعلها تعاني مع الآخرين. وابتعدت عن المرآة وذهبت لتلتقط حقيبتها، ولكنها توقفت بعد دخول أحد السعاة متسائلاً:

ـ هل السيدة هيبرد هنا؟

ـ لقد غادرت منذ مدة.

ـ هناك فتاة تريد مقابلتها. ويبدو عليها الضيق.

ـ السيدة هيبرد لا تقابل أحداً، وهذا من القواعد.

ـ القواعد تكسر عادة.

ـ حسناً، إنها ليست هنا، من الأفضل أن تخبرها أنها تضيع وقتها.

وخرج الساعي من المكتب ثم عاد رأسه فوراً الى الداخل وقال:

ـ تستطيعين ابلاغها ذلك بنفسك.

واختفى بسرعة، بينما كانت فتاة ذات شعر داكن وعلى وجهها نظرة مأساوية تندفع بعجل الى داخل الغرفة صارخة:

ـ سيدة هيبرد! أشكر الله أنني وجدتك!

إذا لم تساعديني سأقتل نفسي!

٢ـ أريد حلاً

حدقت فيليبا بالدخيلة المضطربة، وكان أملها بالتخلص منها يتلاشى بينما كانت تلاحظ علامات الهستيريا على وجهها الشاحب وجسدها المرتعد، فقالت لها:

ـ أخشى أن لا أستطيع مساعدتك، أنا لست...

ـ أعلم أنك لا تقابلين الناس عادة، ولكنني يائسة، يجب عليك مساعدتي!

وسألتها فيليبا وهي قلقة من نظرة الاسترحام على وجه من كانت أمامها:

ـ هل كتبت لنا رسالة؟

ولم تكن الفتاة أكبر من عمر الثمانية عشر، ولها النظرة الندية الهشة لزهرة لم تتفتح بعد. وكانت تعبيراتها خالية، ولكنها قررت عدم الاكتراث وقست قلبها أمام التوسل المليء بالدموع في صوتها الدقيق، وتابعت تقول لها بثبات:

ـ لا أستطيع إعطاء نصيحة اعتباطية، لا نفعل هذا أبداً... يجب أن تكتبي لنا، نحن نجيب على كل الرسائل التي نتلقاها و....

ـ ليس لدي الوقت لانتظار الرد. يجب أن أحصل عليه الآن، هذه الليلة وإلا سيفوت الأوان.

ـ ولماذا لم تكتبي لنا من قبل؟

www.rewity.com

ـ لم أستطع، فالمشكلة لم تبرز إلا مؤخراً، منذ ثلاث ساعات بالضبط.

ومدت يدها وامسكت يد فيليبا بقوة قائلة:

ـ لا تستطيعين رفض مساعدتي، فهذا واجبك، أليس كذلك؟

ـ أنا لا أرفض، إنما أقول لك فقط اننا نتعامل مع المشاكل عن طريق الرسائل.

ـ لا يمكنك وضع مثل هذه القوانين السخيفة عندما تتعاملين مع الناس، فالبشر لا يمكن أن يوضعوا في ملفات.

وحاولت فيليبا أن تبقي صوتها ساخراً:

ـ من الممكن ذلك، كما تعلمين، لماذا لا تذهبي الآن الى منزلك وتكتبي لنا؟ من الممكن أن تكتبي رسالتك من هنا عند مدخل البناء، وتتركي الرسالة في مكتب الاستقبال وسوف نتعامل معها أول شيء في الصباح.

وصرخت الفتاة:

ـ سيكون الوقت قد فات، فسأكون في الصباح إما متزوجة أو مدفونة.

تضارب كلماتها وازنته الطريقة المأساوية التي قيلت به، ولأن فيليبا كانت تدرك أن الفتاة كانت في حالة هستيرية فقد حاولت تطييب خاطرها، فقالت بلطف:

ـ أنا واثقة أن الأمور ليس بهذا السوء.

وكانت فيليبا قد واجهت قصصاً مماثلة عدة مرات من قبل: فتاة في الثمانية عشر تقع في حب غير متناسب، وأهلها يرفضون، ولكن قصة كاتي جويس، كما عرفت الفتاة عن نفسها، كانت مختلفة قليلاً. فالأهل هنا حل مكانهم عم تعيش معه وتخاف منه على ما يبدو. أمها ماتت عندما كانت في الثانية عشرة، وتزوج أبوها بامرأة أصغر منه بكثير، رفضت أن تعيش مع طفلته بعد وفاته. ونجحت في اقناع العم أن يقدم لها بيته. وتابعت الفتاة صارخة:

ـ إنه أسوأ من أي أب. فهو لا يزال يعيش في القرون الوسطى وينظر الى كل شخص تحت الخامسة والعشرين وكأنه لا يزال في صفوف المدرسة!

ـ أنا متأكدة أنك تبالغين.

ـ لا، ليس صحيحاً! إنه يعاملني كطفلة، وسيلا تشجعه.

ـ ومن هي سيلا؟

ـ إنها زوجة أبي، كنت أعتقد أنها ستكون مسرورة للتخلص مني، وأعلم الآن لماذا لم تكن كذلك. فإذا تزوجت لن يكون بإمكانها العيش مع عمي، وستضطر الى الرحيل لتعيش بمفردها. لهذا فهي تريد ابقائي طفلة، وأنا لست طفلة، فأنا في الثامنة عشر يا سيدة هيبرد، وأستطيع تقرير مصيري.

ـ أنا لست..

ـ لا تقولي انك لن تساعديني، يجب أن تقولي ماذا يجب أن أفعل.

وحدقت كاتي جويس بوجه فيليبا. بتضرع وقالت:

ـ أنا أحب الن كثيراً وإذا لم أتزوجه سأقتل نفسي!

وتنهدت فيليبا وجلست وراء مكتبها. وعبر الطاولة الفاصلة بينهما نظرت الى الزائرة الشابة عن قرب أكثر، آملة أن تجد في مظهرها ما يدل على خلفية حياتها. ولكن ما سببه لها ذلك اليوم من ازعاج جعل الأمر مستحيلاً، فالشعر القاتم الطويل، والوجه غير المزين، والثياب التقليدية، كانت أشياء يواجهها المرء كل يوم وفي كل مكان. أما الصوت فكان مهذباً مع صراحة بريئة، تلاقيه عادة بين طراز بنات المدارس الداخلية. وسألتها بلطف:

ـ أين تسكنين؟

ـ في لندن، وما علاقة هذا بذاك؟

ـ إنني أحاول أن أبحث عن خلفياتك. فمن المهم معرفة هذا قبل إعطاء أية نصيحة.

- لقد أخبرتك، فأنا أعيش مع زوجة أبي وعمي، وهي تريد أن تبقيني طفلة، وهو يريدني أن أذهب الى الجامعة وأن أتعلم.

- هل يعلمان أنك واقعة بالحب؟

- بالطبع! فأنا أعرف ألن منذ سنة.

- وهل أنت متأكدة أنه يحبك؟

- يريد الزواج بي، يريدني أن أهرب لنتزوج «خطيفة»، لهذا أتيت الى هنا لأنني لا أعرف إذا كان من اللائق أن أهرب.

وأخيراً برز السبب الأهم، وأمام معرفته لعبت فيليبا لاكتساب الوقت. ونادراً ما أعطت جيسيكا جواباً كاملاً بنعم أو لا لأي سؤال طرح عليها. وكانت تقول تكراراً «يجب أن يكون الانسان من نوع خاص ليقبل جواباً صارماً. ومن هو قادر على القبول والتصرف حسب نصيحتك ليس من الطراز الذي يحتاج الى النصيحة! فلهذا من الأفضل دوماً اعطاء البدائل. وقول نعم إذا... أو، لا ولكن... عندها تتركين للناس الخيار!».

النصيحة هذه لم تكن فيليبا توافق عليها دوماً. فقد كانت تشعر أن الناس غالباً ما يرحبون بأن يقال لهم بجزم ماذا يجب أن يفعلوا. مثلما هي راغبة في أن تقول لهذه الفتاة بجزم. ومع ذلك فالقول لها بأن تهرب أمر خطر، كذلك القول لها بأن تبقى حيث هي. وقطبت فيليبا جبينها، محاولة تخمين معنى ما قالته الفتاة حول أن تكون في الصباح إما متزوجة وإما مدفونة.

وسألتها محاولة اكتساب الوقت.

- ماذا يعمل صديقك؟

- يعمل ميكانيكياً في شمال لندن. وهو مسؤول عن فرع الصيانة والتصليح. وهو بارع بعمله.

- إذاً فهو يكسب جيداً ليصرف عليك؟

- المال ليس مشكلة. فعمي هو الذي يقيم الدنيا من أجل المال.

- لماذا يرفض الن، بالضبط؟

- لقد أخبرتك، لأنه يريدني أن أذهب الى الجامعة.

- إنها ليست فكرة سيئة.

- أنا لست مهتمة بالحصول على تعليم عال، أريد أن أتزوج وأهتم بألن. فأنا أحبه وأريد العيش معه. وإذا لم أستطع فمن الأفضل أن أموت!

وانفجرت بنشيج صاخب. جعل فيليبا تقفز وتستدير حول الطاولة.

- البكاء لن يفيدك في حل مشكلتك يا كاتي. ولا أستطيع بالطبع التحدث معك وأنت تصدرين مثل هذه الأصوات. انتظري دقيقة سأجلب بعض القهوة.

وسارعت الى الخارج حيث مجموعة من آلات البيع في زاوية الممر، وعادت بكوبين من القهوة ورزمة بسكويت. وكانت كاتي قد توقفت عن البكاء وحاولت اصلاح ما أفسدته الدموع. وبدت أكثر من قبل كجرو غير سعيد، وزاد شعرها الناعم الداكن المتدلي كاذني الكلب على جانبي الوجه من هذا التأثير. وقالت فيليبا:

- اشربي القهوة، واخبريني القصة كاملة مرة أخرى. ولكن تخلي عن الدراما والتصقي بالحقائق.

وبدا أن الفتاة ستحتج ولكن شيئاً في وجه فيليبا دفعها لتقرر العكس. واحتست القهوة وجاهدت لتجميع أفكارها لتفعل ما قيل لها. ورددت القصة بهدوء أكبر، مع أنها بقيت القصة نفسها في أكثر الجوانب: فتاة تعسة في الثامنة عشرة تسيطر عليها زوجة أب لا تحبها وعم يصر على أن تدخل الجامعة، على الرغم من واقع أنها لا تحب التعليم.

وكان ألن قد ظهر في حياتها قبل سنة، ولم يفترقا منذ ذلك الوقت. ولكن إعلان ارادتها بالزواج منه جاء مفاجأة للأهل غير مرحب بها، وعندما فشلت مناقشاتها معها لجأ العم الى التشدد ومنع ألن من دخول المنزل وأبقى كاتي محبوسة فيه.

وعلى الرغم من تجارب فيليبا، إلا أنها لم تجد سبباً لمثل هذا التصرف فكاتي في عمر يخولها أن تسعد من تتزوج منه، وألن شاب مستقيم قادر على المحافظة على زوجته. فالميكانيكيون لهم أهميتهم ونادراً ما يلزمهم المال أو أن يكونوا عاطلين عن العمل. ومن السخافة أن لا يجلس من لهم علاقة بهذه القصة معاً ليناقشوا الوضع بتعقل. وتنهدت، فكثير من كبار السن يرفضون الادراك بأنهم إذا وضعوا طموحاتهم على أكتاف الأصغر سناً فإنهم لا يقدمون لهم خدمة. ومع أنها تقدر قيمة التعليم العالي فهي تعلم أن ليس كل إنسان يرغب فيه. وتصرف عم كاتي ينبع من ديكتاتورية أكثر من كونه اهتمام أبوي. وسألت الفتاة:

- لماذا أنت مهتمة هكذا لاتخاذ قرار هذه الليلة؟

- لقد حدد لي ألن حداً أقصى، وهو يقول انني إذا كنت أحبه فسأهرب معه.

- تستطيعين بنفس المنطق أن تقولي له إذا كنت تحبني انتظرني!

- لقد انتظر سنة بالفعل.

- انك في الثامنة عشر فقط، ولا ضرر أن ينتظر فترة أخرى.

- ليس للعمر دخل بالأمر، وأنت سيئة الطباع كزوجة أبي تماماً.

- أنا أقترح عليك، إذا انتظرتما فقد يغير عمك وزوجة أبيك رأيهما.

- لن يغيراه أبداً.

وكان رد الفتاة مقتضباً وغير مهذب فاحمرت فيليبا وقالت:

- أنا آسفة إنني لم أعطك الجواب الذي ترغبين في سماعه.

- ذلك لأنك في صفهما!

- أنا لست في صف أحد. أنت أخبرتني بالوضع وأنا أحاول أن أجعلك ترين أن الدنيا لن تنتهي إذا لم تتزوجي ألن «خطيفة» هذه الليلة.

- إنها نهاية دنياي أنا، وهذا ما لا تفهميه. فقد استمر ألن يطلب

مني الهرب معه منذ ستة أشهر، ولقد أعطاني موعداً نهائياً هذه الليلة، فإذا لم أنفذه لن يراني ثانية.

وردت فيليبا عليها بنعومة:

- أنا متأكدة أنه لا يعني ما يقول، هذا إذا كان يحبك.

- بل يعني ما يقول. وهو يعرف عمي، ويقول انني إذا لم أواجهه الآن فلن أفعل أبداً، لهذا يجب اتخاذ القرار الليلة.

- عندما يكتب الناس الينا يكونون أمام بدائل لا يعرفون أن يختاروا بينها، ولكن في حالتك أنت، ألن يريد منك أن تهربي معه وأنت راغبة في الزواج منه، فما حاجتك إذاً بي لأخبرك ماذا تفعلين؟ أنت كبيرة كفاية ليكون لك اختيارك وكبيرة كفاية لأن تتزوجي.

وقفزت الفتاة واقفة ووجهها يشع بالسعادة.

- لا تعرفين كم يعني لي قولك هذا! فأنت الشخص الوحيد الذي تكلمت معه منذ أشهر.

- أنا لم أقل لك شيئاً، لقد حاولت أن أجعلك ترين الأمور كما هي فقط.

- لقد فعلت ذلك بالتأكيد وجعلت كل شيء واضحاً. ولا أعرف لماذا لم أدرك ذلك بنفسي، فأنا وألن نحب بعضنا ولن يستطيع أي إنسان منعنا من الزواج.

واتجهت نحو الباب، وتوقفت عند العتبة لتعطي فيليبا ابتسامة مضيئة أخرى، ثم اختفت عن الأنظار.

٣ . عبث الأقدار

رغبة فيليبا بإخبار جسيكا هيبرد عن لقائها مع كاني جويس لم تتحقق. فعندما وصلت إلى مكتبها في الصباح وجدت رسالة على طاولتها تطلب فيها التعامل مع المسائل المكتبية. وأمضت بقية يومها مشغولة بالتفكير بالمقال الرئيسي. ولكن في وقت متأخر من بعد الظهر استقلت سيارة أجرة واتجهت إلى مستشفى القلب الوطني حيث قابلت رئيستها في غرفة الانتظار حيث بادرتها معتذرة:

- كان يجب أن أتصل قبل حضوري، ولكنني شعرت أنه يجب أن أراك وأعرف حال زوجك.

- هذا لطف منك، ولكن لا أخبار جديدة، كما أخشى ولا أعلم أهذا خير أم شر.

- أنا متأكدة أن كل شيء على ما يرام. لا لزوم للقلق على المقال.

- لا أهتم بالمقال! المهم الآن «فرانك».

- أعرف كيف تشعرين، سأتصل بك هذا المساء، إذا سمحت لي، أهناك شيء أستطيع فعله.

- الصلاة! هذا كل ما يستطيع أحد فعله الآن.

وعادت فيليبا إلى المكتب هادئة، وشعورها بالحزن بدأ بالزوال بينما كانت تحضّر للمقال الجديد. فالعمل لصحيفة كمثل من يطعم وحشاً لا يشبع! فحالما ينتهي عمل ما يتوجب تحضير آخر. وحدقت في كومة

الرسائل على طاولتها. وخالجها شعور بحاجتها لسكون بيت تخلد فيه للراحة. هل يشعر الرجال هكذا أيضاً؟

هل يرفعون رؤوسهم مرة عن عملهم ليتمنوا أن يكونوا في دفء بيوتهم أو سكون حدائقهم؟ وعبر الحاجز الزجاجي رأت كيندي جونز بمر. من الصعب التصديق انه قد يرتاح أبداً فكل ما يهتم به الجريدة وزيادة دوران العجلة فيها الذي يعكس النجاح. وفتح الباب ودخل وكان رجلاً في أواخر الأربعين عيناه محاطتان بخطوط حمراء تنم عن التعب، ورائحة التبغ ملتصقة بسترته.

- هل لا تزالين مسرورة من إبداء النصائح للعشاق؟ أم أنت مقعدة الآن للانضمام إلى أرض الواقع؟

- هل هذا عرض للعودة إلى الأخبار.

- هو كذلك!

- إذاً الجواب لا يزال لا! فأنا مرتاحة كثيراً في العمل هنا.

- أنت مجنونة! هل تشاركيني في شراب فيما بعد؟

- أكون مسرورة متى؟

- سأتصل بك عندما يكون عندي وقت فأنا في طريقي لمقابلة ماريوس ليون.

عندما جلست مع كيندي جونز على طاولة صغيرة في المقهى لاحظت أن شيئاً مكدراً قد حدث منذ أن التقت به في الصباح.

وسألته وهي ترتشف كأساً من المرطبات:

- هل أثارك الأخ الكبير؟

- أنا لم أقابله. فأحد أفراد عائلته أصيب بحادث سيارة وذهب إلى المستشفى لرؤيته.

- لم أكن أعلم أن لديه عائلة.

- إنه أحد الامتيازات التي يتمتع بها الصحافيون الكبار، إذ يستطيع أحدهم نشر غسيل الناس الوسخ علناً ولكن يحولون دون نشر غسيلهم الخاص!

وسألته وقد اشتمت رائحة فضيحة:

ـ أخبرني المزيد، هل هربت زوجته مع السائق؟

ـ إنه غير متزوج، الأمر يتعلق بـ....

وتوقف عن الكلام عندما تقدم رجل ليلقي عليه التحية. إنه جاك لان رئيس تحرير صفحة الأخبار في أقوى صحيفة منافسة لهم.

وأخذت فيليبا تستمع إلى الرجلين الخصمين المعروفين في «فليت ستريت» واللذين يحاولان يومياً إحداث سبق صحفي على بعضهما، يتبادلان التحية وقال جاك باقتضاب:

ـ لقد كان لدينا بعض الصوّر المثيرة عن «ليون» أخذت له عن بعد في وضع معقد مع السيدة....

واختفى صوته وهو يلفظ اسم أحد المشاهير اليونانيين وأجابه كيندي:

ـ لقد كان في عدة مواقف معقدة، ولكن أفضل ما لديه أن يكون في القمة على رأس منشورات ليون.

ـ إنه مركز يحميه.

والتفت إلى فيليبا:

ـ ماذا يثير اهتمامك أيتها السيدة الشابة؟

وأجابته:

ـ أنتما معاً، أتعرف، لو نشرتم أي شيء عن السيد ليون سوف ننشر صوراً مثيرة لدينا عن رئيسك الزائد الاحترام!

ـ هذا عمل غير اخلاقي! إنها لعبة ككلب يأكل كلباً. أتعنين ان الكلب لا يأكل كلباً.

وأضاف ضاحكاً:

ـ يوماً ما سأتقاعد «وأبق» البحصة عن الجميع!

ـ عندها سيتوجب عليك أن تغادر البلاد.

ـ إذا ازدادت فواتير ضرائبي سأضطر إلى ذلك.

والتفت إلى جونز وهو يفرك أنفه:

ـ لقد سمعت ان «ليون» سيشتري صحيفة أخرى أصحيح هذا؟

وأجابه جونز:

ـ لو أن هذا صحيح فلن أخبرك.

ـ أنت مخلص له كثيراً.

ـ إنه يدفع لي ثمن ذلك.

ـ ويدفع جيداً فماذا سيصنع بملايينه؟ فليس لديه عائلة ليصرفها عليها. لقد سمعت شيئاً عن أخ له لم يشاهده احد.

ـ لقد توفي منذ بضعة سنوات كان يعمل موظفاً حكومياً في افريقيا.

ـ موظفاً حكومياً! أنت تمزح.

ـ إنها الحقيقة. فلم يكونا أخَين متآلفين لقد كانا مختلفين عن بعضهما في كل شيء.

وسأل جاك فيليبا:

ـ مَن من الأخوين تفضلين؟ لا تقولي شيئاً فأنا أعرف الجواب.

وردت فيليبا:

ـ أنت مخطىء، فأنا مراسلة صحفية متمرسة، يلزمني أكثر من مثال ذهبي كي يؤثر عليّ!

وسارع كيندي جونز لتقديمها:

ـ هذه مقدمة النصائح لعشاق الجريدة لدينا.

المهم هو الرجل وليس ما يملك.

وابتسمت فيليبا.

ـ سأترككما مودعة، مع حديثكما وشربكما.

وغادرت، رافضة رجائهما بالبقاء وسارت إلى آخر شارع فليت، قبل أن تقرر أن تستقل سيارة وفكرت «بماريوس ليون»، فوجوده إلى جانب سرير في المستشفى لم يعطه بُعداً حقيقياً، فجاذبية سلطته تبقيه فوق الناس، وقررت في نفسها انه قد يكون يشعر بالوحدة في مثل هذا

الوضع، وتساءلت عمن يكون ذلك المريض هل هو احد أفراد العائلة كما قال كنيدي ولكن قد تكون هذه طريقة دبلوماسية لإخفاء أن المريض صديقة ما، ووصلت سيارة تاكسي، وصعدت إلى داخلها وأعطت السائق عنوانها ونسيت كل شيء عن ماريوس ليون عندما أخذت تفكر بكاثي جونز، وما قد تكون قد فعلت.

على الرغم من تقبلها لواقع إقامتها في لندن والعمل في وظيفة من أهم الوظائف فما زال أهلها يعاملونها كطفلة عندما تعود إلى المنزل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. ومع أنها تقضي يومين في تناول الفطور في الفراش. والشراب المنعش عند الظهيرة وسماع اطراء العزّاب يوم الأحد فإنها تسارع في العودة إلى الشوارع الصاخبة المحتشدة. ولكنها الآن في صخب بعد ظهر يوم الجمعة هذا، شعرت بحنان إلى هدوء منزل والديها وسارعت للاتصال بهما لإبلاغهما بقدومها في نهاية الأسبوع.

وعندما عادت من العطلة يوم الاثنين وجدت جسيكا هيبرد قد عادت إلى استلام مهامها. فقد تعافى زوجها، وعلى الرغم من أنه سيبقى شهراً في المستشفى، فقد زال الخطر عنه.

وقالت لفيليبا أثناء ارتشافها القهوة:

ـ كانت مسؤوليتك عن كل شيء هنا رائعة فمرض فرانك جعلني لا أركز على شيء.

ـ لا داعي للقلق، فأنا قادرة على تحمل المسؤولية، فقد دربتيني على ذلك..

ودخل أحد السعاة حاملاً رسالة.. وحسبتا أنها إحدى الرسائل التي توضع في صندوق البريد كالعادة كل صباح، ودهشت فيليبا لرؤية وجه جيسيكا يتلوّن عند قراءتها محتويات الرسالة.

ـ هل هناك شيء؟

ـ انها من ماريوس ليون، لقد أرسل لي شيكاً بمبلغ ضخم و... إنذار بالصرف.

ـ ماذا؟

ـ لقد طردني من العمل، هذا واضح فخدماتي لم تعد مرغوباً بها في صفحة «العزيزة جيسي» ويذكرني أن العنوان هو ملك الجريدة. وانني حسب شروط الاتفاق لا أستطيع العمل في مقال مماثل طيلة ثلاث سنوات قادمة.

ـ من غير المعقول طردك. هناك خطأ ما. فصفحتك هي إحدى أكثر الصفحات شعبية.

ولوحت جيسيكا بالشيك في الهواء.

ـ ليس هناك خطأ في هذا الشيك. فهو يكفيني للتقاعد. فماريوس ليون يريد التأكد من أني لا أتذمر حول المال.

ـ ولكن لا يمكنك السماح له بطردك. انه عمل وحشي.

ـ لديه الحق بذلك، على الرغم من علمي بأنه أمر شاذ.

ونهضت وهي تقول:

ـ لن يطردني أحد دون أن تكون لديه الشجاعة ليقول لماذا.

والتقطت حقيبتها وخرجت تاركة فيليبا تتساءل عن هذا العقل العامل للرجل الذي يسيطر على هذه الامبراطورية.

ولم تكن جيسيكا قد عادت بعد، عندما حل وقت الغذاء، وبينما كانت فيليبا تتناول «سندويش» انشغلت أفكارها بتوتر. وقبل حلول موعد العودة ذهبت إلى مكتبها وكانت جيسيكا هيبرد تجلس إلى طاولتها. ومع أنها كانت لا تزال تبدو مصدومة فقد بدت متحكمة بأعصابها. وسألتها فيليبا.

ـ ما حصل. هل اصطدمت معه؟

ـ لا أحد يستطيع التصادم معه، ولكنني حصلت على اعتذار، لقد كانت غلطة.

وجلست فيليبا إلى طاولتها وانتظرت سماع الباقي. ولكنها لم تسمع شيئاً وعادت إلى عملها دون الحصول على سبب لرسالة ماريوس ليون ولا على سبب تغيير رأيه.

ورفعت رأسها لتفاجئها نظرة جيسيكا هيبرد إليها بقوة بحيث لم تستطع تجاهلها فسألتها:

ـ هل أنت متأكدة أن كل شيء على ما يرام؟.

ـ تماماً. ان الأمر فقط...

ودفعت بكرسيها إلى الخلف ووقفت قرب النافذة وأضافت:

ـ هل حضر أحد لمقابلتي أثناء غيابي عن المكتب؟ لا أتحدث عن هذا الصباح بل أعني الأسبوع الماضي عندما كنت في المستشفى؟.

وفكرت فيليبا لحظة:

ـ لا أحد مهم... شخصين أحدهما من مكتب النصائح المدنية، ورجل من حركة دينية جديدة.

ـ لا، واحد من قرائنا هل اتصل أحد منهم؟

ـ ليس حسب علمي، إلا إذا قابل أحد المساعدتين الاخرتين جوان أو هيلين في الواقع لم يكن هناك أحد...

وتوقفت وقد تذكرت:

ـ كم أنا غبية، لقد أتى أحد لمقابلتك فعلا!

فتاة تدعى كاتي جونز. لم أستطع التخلص منها. لقد كانت متلهفة للتحدث إلى أي كان مما لم يعطني فرصة لأقول لها انني لست أنت.

ـ وماذا حدث.

ـ لقد حاولت أن أدفعها للمغادرة والكتابة لنا ولكنها كانت في حالة لم تجعلها تستمع إليّ.

ـ ماذا كانت تريد؟

ـ نصيحة حول صديق لها.

ـ وهل أعطيتها النتيجة؟

ـ نعم، وندمت على ذلك.

ـ لماذا؟

كأن في صوت جيسيكا هدوء غريب.

ـ لأن... أظن أن الجواب كان مرتكزاً على التعاطف أكثر من التجرد. فقد كانت تريد الفرار مع صديقها، وكانت تشعر بالتعاسة لأنها واقعة تحت تأثير عمها.

ـ وهل أخبرتها أنها يجب أن تهرب؟

ـ لقد قلت انها في عمر تستطيع فيه أن تعيش كما يحلو لها. وانها تستطيع الهرب إذا رغبت.

وامتلأ صوت جيسيكا بالألم وهي تقول:

ـ لقد كنت أقول لك باستمرار أن لا تعطي مثل هذا الجواب المحدد!.

ـ اعلم ذلك، وغضبت من نفسي بعد ذلك وحاولت أن أتصل بها ولكنني لم أعرف عنوانها ولم أجده. أعرف انك قلت اننا لا يجب إعطاء الناس جواباً محدداً. ولكن مجرد مجيئها إلى هنا في تلك الحالة أجبرني على القول لها ما يجب أن تفعل...

ـ افهم أن الأمر كان صعباً عليك، هل قالت أي شيء عن نفسها؟

ـ فقط ان صديقها ميكانيكي. لم يكن الأمر أنه لا يستطيع تحمل الزواج، بل ان زوجة أبيها وعمها لا يريدان أن تتزوج.

ـ هذا ليس مفاجئاً. فعمرها بالكاد ثمانية عشر.

ـ اعرف ولكن...

وتوقفت فيليبا وقد حيرها ما قالته السيدة هيبرد.

ـ كيف عرفت أنها في الثامنة عشرة؟ لم أخبرك هذا.

ـ لقد أخبرني ماريوس ليون. فكاتي جونز هي ابنة أخيه.

ولدقائق طويلة كانت فيليبا غير قادرة على الكلام. فكيف لهذه الفتاة أن تكون مخادعة لهذه الدرجة! وما هذه الجرأة لتأتي إلى هنا لتبحث عن نصيحة بينما تعلم أن مركزها يجعل من أي واحد يعمل لدى ماريوس ليون غير قادر على تقديم النصيحة. وببطء أخذت الصدمة تنحسر، وبدأت تشكر الصدمة التي جلبت هذه الفتاة إلى هنا.

- يجب أن أبلغ السيد ليون بالحقيقة.

- أظن أن هذا ما دفعه لطردك. لأنه ظن أنك أنت من قال لابنة أخيه أن تهرب.

- نعم.

- كيف عرفت أنها كانت هنا؟

- لقد أفشت الأمر عندما كانت تهذي فقد عملت بنصيحتك. وأصيبت مع صديقها بحادث سيارة على الطريق العام أثناء هربهما. ونجا الصديق وأصيبت هي بجروح بليغة.

إذاً هذه هي الفتاة التي كانت تبقي ماريوس ليون متيقظاً ليلاً نهاراً. وزفرت فيليبا نفساً عميقاً، فكم هذا فظيع! وتمتمت:

- لا عجب أنه غاضب. ماذا قال عندما قلت له انني الفاعلة؟

- لم أقل له شيئاً.

- تعنين..؟

- لم أقل له من أعطى ابنة أخيه النصيحة. أولاً لأنني لم أكن أعلم من هو حتى الآن، وثانياً لأنني مسؤولة عملياً عن أي نصيحة تخرج من هذه الصفحة.

- أنت لست مسؤولة عني ولن أدعك تتحملين اللوم.

- لا تستطيعين تقسيم اللوم هكذا. فلم تكوني تعلمين أن الهروب سينتهي بهذه المأساة.

- أنا مندهشة لعدم محاولة السيد ليون أن يعرف من هو المسؤول.

- قد يحاول، ولكنني سأرفض القول له.

- أظن أن من حقه أن يعلم، سأذهب لمقابلته.

- لا تكوني غبية، فأنا آمل أن تتسلمي الصفحة عندما أترك العمل، وإذا أخبرته عن دورك في هرب ابنة أخيه سأترك العمل على أي حال يا عزيزتي، ليس بسبب السيد ليون. فقد قررت هذا عندما مرض زوجي أريد أن أبقى معه وقتاً أطول، في السفر ربما. أو حتى كتابة الرواية التي أعد نفسي بكتابتها.

- ولكنك لا تنوين ذلك فعلاً.

- عندما تسلمت رسالة السيد ليون كانت صدمة لي. فهناك فرق كبير بين قرار التوقف عن العمل وبين الصرف. لهذا كنت مستاءة.

- ولكن السيد ليون لا يزال لا يعلم الحقيقة.

- لا سبب لأن يعرف. لا تستطيعين لوم نفسك لحادثة كاتي ليون. انسي الأمر، فكري بالمستقبل.

- لا أستطيع كتابة هذا المقال. ليس لدي الخبرة وحادثة كاتي تبرهن ذلك.

- انسي الأمر بحق الله، أنت كاتبة ذكية وجيدة. إنها محنة صعبة، ولكن بعد ثلاثة أشهر تستطيعين التخلي عنها.

- لماذا لا تبقين كمشرفة.

- لأن مقال «العمة جيسي» يحتاج الى تغيير. فأفكاري ومبادئي لا تتلاءم مع هذه الأيام. حتى ترددي في إعطاء أجوبة محددة أصبح عتيق الطراز انه عصر الخبرة، الخبرة العاطفية، والقراء بحاجة لمن يقول لهم ماذا يفعلون.

ولم تجب فيليبا، فقد انشغلت بأفكارها، فإدارة صفحة «العزيزة جيسي» لا يعني فقط ازدياد مرتبها بل أيضاً الشهرة، وعلى الرغم من أنها قد لا ترغب بهذا العمل لأكثر من بضعة سنوات، فقد يقودها هذا الى مركز أكثر أهمية. مجرد التفكير بمقابلة ماريوس ليون واخباره بالحقيقة أمر مرعب ولكن العيش مع ضمير يعذبها أمر مرعب أيضاً وتمتمت:

- يجب أن أقول له الحقيقة.

ودون أن تترك لنفسها فرصة تغيير رأيها ومن الخوف بأن التردد يثنيها عن الذهاب ركضت خارجة غير عابئة بدعوة السيدة هيبرد لها لتعود.

وعندما وصلت الطابق العلوي - حيث المكاتب التنفيذية والادارية - أدركت أنها لا تعرف رقم غرفة ماريوس ليون. فأبطأت من سرعتها، وتطلعت الى كل باب تمر به. وخرجت فتاة في مثل عمرها من باب الى

شمالها وهرعت فيليبا خلفها قبل أن تختفي:

ـ أبحث عن غرفة السيد ليون هل تعرفين أين هي؟

ـ انها ذات الباب المزدوج في نهاية الممر. ولكن عليك أن تقرعي الباب المجاور لها. حيث مكتب السيدة براون.

وشكرتها مبتسمة وفعلت كما قالت لها. وقالت لها السيدة براون بنظرة فاحشة غير مصدقة ما تسمع:

ـ دون موعد؟ وحتى مع موعد لا تستطيعين رؤيته هذا الأسبوع.

ـ يجب أن أقابله فوراً. إن الأمر مهم جداً.

ـ هل تستطيعين ابلاغي بالأمر.

ونظرت فيليبا الى السكرتيرة المتوسطة العمر وتنهدت:

ـ إن الأمر يتعلق بابنة اخيه كاتي. لقد قابل السيد ليون السيدة هيبرد منذ بعض الوقت ولكن هناك.. هناك شيء آخر يجب أن يعرفه.

وارتجف ذقن فيليبا:

ـ أخشى أن لا أستطيع مناقشة الأمر معك وأعلم أن السيد ليون سيقابلني اذا علم بالأمر.

ـ حسناً، انتظري لحظة من فضلك..

وعندما عادت السكرتيرة إلى مكتبها أشارت بصمت إلى الباب من ورائها ولم يكن ذلك له أي تأثير مختلف عما لو تكلمت، لأن قلب فيليبا كان يضرب بقوة وبصوت عال في أذنيها بحيث أنها لن تسمع ماذا تقول لها. ستكون هذه هي أول نظرة تطالعها لماريوس ليون. وأزاحت شعرها عن جبهتها وفتحت الباب انها في عرين الأسد، وخطت إلى الداخل.

٤ ـ في عرين الاسد

أول ما لاحظته فيليبا كان حجم الغرفة وحجم الرجل المتناسبين. فكلاهما ضخم ويوحي بالسطوة بشكل غير متوقع. السجادة الواسعة الرمادية الداكنة تحت قدميها. عليها عدد من المقاعد الجلدية وطاولة من الخشب المصقول يستخدمها كمكتب له، وسطحها الجميل اللماع مغطى بكومات من الوثائق، وعدة علب فضية، وحجرة بحجم صينية قهوة ولكن شخصية ماريوس ليون كانت تغطي على كل ما حوله. وليس فقط شخصيته بل أيضاً الحجم الجسدي له.

لقد كان أطول من ستة أقدام، بجسم لاعب «الركبي»: أكتاف ضخمة وصدر عريض يستدق حتى خصر ضيق. لقد سمعت تكراراً وصفاً له كأصغر ملك في حقل الصحافة في البلد، مما جعلها تندهش من شعره الرمادي الكثيف الذي يمتد من جبهته الى الخلف كالأسد. ولكن الوجه كان غير متجعد ولون الجلد أسمر وكأنما يمضي معظم وقته خارج مكتبه، الأمر الذي تعرف أنه غير صحيح، وفكرت أنها قد تكون نتيجة لأشعة اصطناعية بينما كانت تدير عينيها لتبعدهما عن العينين الرماديتين الضيقتين المحدقتان بها بنظرة ثاقبة وسمعت صوته الحازم كما مظهره يقول:

ـ حسناً؟ ماذا هناك عن ابنة أخي؟

وارتجفت شفتا فيليبا وتمنت لو أنها لم تسارع بالقدوم إلى هنا، لتشاهد

هذا الوجه الثابت القاسي يحدق بها، بأنفه الكبير وفمه الواسع، الذي أصبح الآن كخط رفيع مستقيم وفهمت لماذا حاولت السيدة هيبرد أن تمنعها من القدوم. ولكن فات الوقت لتتراجع وهي الآن هنا ويجب أن تكمل.

ـ لم تكن السيدة هيبرد من قالت لابنة أخيك أن تتزوج، بل أنا.

ـ أنت؟

واحنت فيليبا رأسها وبدأت بشرح ما حدث ولكنها لم تحصل على فرصة للكلام، لأنه قاطعها بغضب.

ـ من أين لك الحق أن تقولي لطفلة في عمرها أن تهرب وتتزوج؟

ـ فتاة في الثامنة عشر ليست بطفلة.

ـ هذا يتوقف على الشخص نفسه، كأني طفلة. على كل عمرها لا صلة له بالموضوع، المهم المبدأ فليس لك مصلحة أن تقولي لها، أو لأي شخص كان أن يهرب من عائلته. صفحة جيسيكا هيبرد من المفروض أن تعطي نصائح عاقلة، لا أن تشجع الفوضى!

فوجئت بهذا الهجوم اللامنطقي، لأنها لم تدرك ما للفوضى من شأن بالنصيحة التي أعطتها لابنة أخيه، ونوت أن تقول له هذا ولكنه رفض مرة أخرى أن يستمع اليها مقاطعاً لها بعنف أكبر:

ـ وحدة العائلة هو واحد من العوامل المثبتة للمجتمع هذه الأيام، فإذا حطمت هذه الوحدة حطمت كل شيء!

ـ إذا كانت العائلة موحدة فلا يدمرها نصيحة الناس، ولم يكن لدي النية في تدمير أحد عندما قلت لكاتي ما تفعل.

ـ كان يجب أن تبقي ساكتة، كيف تجرؤين على وضع نفسك كحكم لما يجب أن يفعله الآخرون؟

ـ إننا نقبض مرتباتنا لنعطي النصيحة!

ـ أنت تقبضين لمساعدة الناس وايجاد حلولهم الخاصة. وهذا لا يعني قلب حياتهم رأساً على عقب! لقد تمسكت بابنة أخي وتصرفت كأنك إله!

ـ لقد كانت في حالة هستيرية ويائسة ولم أستطع أن أخذلها. لم أرد أن أعطيها نصيحة يا سيد ليون ولكن لم يكن لدي خيار آخر.

ـ لم يكن من الواجب مقابلتها.

ـ لقد اقتحمت المكتب قبل أن أستطيع ردها.

ـ إذاً كان يجب أن تتركيها تذهب.

ـ لم تقبل بالذهاب، أقول لك انها كانت هستيرية. وقالت إذا لم أساعدها ستقتل نفسها.

ـ وهل صدقت هذا الهراء.

ـ لا تقدر أن تصرف النظر عن تهديد بالانتحار على أنه هراء وإذا كنت لم أتعلم شيئاً من السيدة هيبرد فقد تعلمت هذا.

وفتح يديه وكأنه يقر بصحة الفكرة، ولكن غضبه لم يخف.

ـ اضطراب ابنة أخي يجعل من تصرفك أقل عذراً. إذا كان شخص في حالة هستيرية فآخر شيء يتوجب أن تقوليه له بأن يهرب ويتزوج.

ـ لقد كان الأمر لها إما الزواج أو القبر! هذا ما قالته لي.

ـ وهل صدقتها؟

ـ بما فيه الكفاية أن لا أخاطر. على كل لم أقل لها أن تهرب. لقد قلت فقط انها في عمر تستطيع فيه أن تفكر لنفسها..

وضم قبضة يده وضربها على الطاولة.

ـ لقد شجعتها بهذا على الهرب. كان يجب اجبارك على البقاء الى جانب سريرها في المستشفى في اليومين الآخرين لو أنك شاهدت نتيجة عملك..

وتوقف عن الكلام بعد أن أصبح صوته مختنقاً بالعواطف، وحدقت به فيليبا مذهولة بظلم إتهامه لها:

ـ لك الحق بالتفكير بأنني لم يكن من الواجب أن أتحدث إلى ابنة أخيك. ولكن لا تقدر على لومي لحادثة السيارة.

ـ أنت مسؤولة عن هربها، فلو أنها لم تهرب مع آلن لما كانت حيث هي الآن. أنا ألومك بالكامل.

وغضبت لعدم الانصاف، وتلاشى خوفها منه.

ـ لأن لومي أسهل من لوم نفسك، من السخرية أن تتحدث عن قيمة الوحدة العائلية. فمما قالته كاتي لي، لم يكن هناك وحدة في عائلتك!

ـ أنت لا تعرفين شيئاً عن عائلتي.

ـ أعرف أن كاتي أتت لتقابل غريباً لأنها لم تتمكن من التحدث إلى شخص آخر وليس لديها أي احترام لزوجة أبيها، وتخاف منك!

ـ كيف تجرؤين على مخاطبتي هكذا!

ـ لماذا لا؟ لم تحسب حساباً لما قلته لي!

ـ لأن نصيحتك هي التي أرسلت ابنة أخي الى المستشفى وكانت ستقتلها.

ـ إنها قساوتك التي تعنيها! لو أن كاتي كانت قادرة على أن تطرح معك مشاكلها لما احتاجت لغريب. . . ولكنها كانت تخاف منك وتنظر اليك كديكتاتور.

ـ أنت لا تعلمين شيئاً عن علاقتي مع ابنة أخي.

ـ أعرف ما قالته هي لي.

ـ هل تكوّنين رأيك عادة حسب دليل من جانب واحد؟

ـ لقد كونت رأيك عني دون أي دليل بالمرة! ولست مندهشة من تفضيل كاتي أن تحصل على المساعدة من «العزيزة جيسي».

ـ هل انتهيت من كلامك؟

ـ أنت لا تحب سماع الحقيقة هل هذا صحيح؟

ـ ليس وصفك لها. انت شابة متطفلة، وتطفلك كان سيكلف كاتي حياتها. واهتزت فيليبا:

ـ لم تسمع أية كلمة قلتها لك؟

ولكنه تابع وكأنها لم تقل شيئاً:

ـ كلما سارعت بترك العمل لدي كان أفضل.

ـ هل تعني أنك تطردني؟

ـ وهل توقعت أن أرقيك؟

ـ توقعت الانصاف.

ـ من ديكتاتور ظالم؟

وركضت مندهشة نحو الباب وخرج خلفها قائلاً.

ـ ستحصلين على راتب ثلاثة أشهر.

ـ استخدم المبلغ لشراء سوط لنفسك.

ردت عليه وصفقت الباب خلفها. وعندما أعلمت جيسيكا هيبرد بنتيجة مقابلتها لماريوس ليون، عرضت عليها أن تتصل بمدير صحيفة أسبوعية كانت تعرف أنه بحاجة لكاتب. ولكن فيليبا توسلت إليها:

ـ هل تمانعين أن تتركي الأمر لمدة أسبوع؟ فأنا الآن متكدرة جداً ولا أرغب في رؤية أحد من أجل العمل.

ـ لا تتخلي عن العمل في الصحف بسبب السيد ليون.

وعاودتها ذكرى كل ما قاله وانفجرت غاضبة:

ـ لا تقلقي للأمر، لو أنني كنت رجلاً لطرحته ارضاً!

ـ ربما طرحك هو أولاً.

ـ لن يفاجئني ذلك، فهو مستأسد ومن على شاكلته هم كذلك عادة. يصلون الى القمة بتحطيمهم كل من يقف في طريقهم، لا عجب أن الناس يكرهونه.

ـ معظم الناس يحبونه لا تجعلي غضبك يعميك عن الحقيقة.

ـ ستكونين سخيفة إذا لم تقبضي راتب ثلاثة أشهر.

ـ لن يعلم شيئاً عن الأمر.

ـ لست بحاجة إلى ماله.

وبدأت تجمع ما في جواريرها في كيس بلاستيك وجدته تحت علاقة الثياب وتنهدت جيسيكا هيبرد:

ـ أتمنى لو أنك لا تذهبين. لست أدري ما سيحل بالصفحة بعد أن نتركها معاً الواحدة بعد الأخرى.

ـ ربما سيطلب منك السيد ليون اعادة النظر في قرارك.

ـ أشك في ذلك لأنه لم يطلب من أحد إعادة النظر في حياته. فهو يتوقع من الجميع أن يكون لديهم نفس اخلاصه للصحيفة.

ـ هل تعنين، هل يقطع أنفه نكاية بوجهه؟

ـ ما تسميه عناداً يدعوه الآخرون استقلالاً بالرأي.

قبلت الكلمات دون قصد معانيها وخلال البضعة أيام التالية وجدت من الصعوبة أن لا تفكر دون شعور بالمرارة. ومهما حاولت رؤية الوضع من وجهة نظره لم تقدر أن تبرر غضبه عليها، ولا رفضه غير المنطقي أن يعترف بأنه خال من اللوم. الوحدة العائلية يا للعجب! وحاولت تذكر بعض ما قالته كاتي لها عنه وعن زوجة أبيها ولكنها لم تتذكر جيداً كما كان يجب أن تستمع اليها بانتباه أكثر لو أنها علمت أن العم الذي أشارت إليه هو ماريوس ليون!

وفي نهاية الأسبوع، ذهبت فيليبا لتقابل جاك لان وقد قررت أن تحصل على وظيفة بمبادرة منها، وكانت ثقتها بنفسها مبررة. وعندما تركته بعد مقابلة قصيرة وناجحة كانت تعرف أنها ستبدأ العمل يوم الاثنين. لم تكن معروفة جيداً لينتقل خبر صرفها من العمل في شارع «فليت» وعلى الرغم من دهشة جاك لان لرؤيتها فقد افترض أنها قد تعبت من العمل في صفحة النصائح وتريد العودة الى طلب العمل كمراسلة. وقال لها بينما كان يرافقها نحو المصعد:

ـ ستجدين جو العمل هنا مختلفاً عن «منشورات ليون» فعندما يتم قبولك في مجموعتنا وتعملين جيداً، سيكون العمل مدى الحياة. وليس كالعمل مع رئيسك السابق فهو يوظف الناس ويطردهم كما أغير أنا قميصي!

وابتسمت له، وصعدت الى المصعد مسرورة من عدم اضطرارها للافصاح عن رأيها برئيسها السابق.

وسارت فيليبا ببطء عبر شارع فليت وقررت العودة الى منزل أهلها في نهاية الأسبوع والاستفادة من آخر أيام الدفء قبل قدوم الشتاء. فمن المبهج رؤية أشجار الشاطىء قبل أن تطرح أوراقها. ألوانها الآن ستكون بنفس لون شعرها. وأخذت تفكر بكاتي جويس ـ كاتي ليون كما تعرفها الآن وهي طريحة ومصابة في إحدى المستشفيات، وحاولت تذكر اسم المستشفى ولكنها لم تتذكر. وبدأت السير مجدداً ووصلت الى غرفة هاتف فدخلتها واتصلت باحدى المستشفيات، وكانت ذاكرتها رغم الضعف على صواب، وعلمت أن كاتي ليون هناك وبحالة جيدة.

ووضعت سماعة الهاتف، وعادت الى سيرها نحو المنزل وهي مستغرقة بالتفكير في اللقاء الوحيد والأول مع الفتاة المنكودة الحظ التي قابلتها عند مدخل «منشورات ليون» وسمعت صوتاً ممتعاً خلفها:

ـ ماذا يشغل تفكيرك.. لقد كنت طوال بعد الظهر أحاول الاتصال بك. والتفتت فيليبا لتجد جيسيكا هيبرد إلى جانبها.

ـ لقد كنت مع جاك لان سأبدأ العمل معه يوم الاثنين وأنا عائدة إلى المنزل الآن.

ـ لا ليس بعد، سنتناول شراباً أولاً.

وعندما بدأنا احتساء القهوة في مقهى قريب قالت لها جيسيكا لماذا كانت تتصل بها:

ـ كاتي تريد رؤيتك.

ـ لقد اتصلت لتوي بالمستشفى لأسأل عن حالتها. ولا أظن من الحكمة أن أزورها.

ـ إنها متكدرة جداً لأنك طردت.

ـ من أخبرها؟

ـ عمها.

ـ أكيد أنه استمتع بذلك «لقد طردت ذلك الجسم المتطفل الذي أعطاك النصيحة بالهرب» أستطيع سماعه وهو يقولها.

ـ أنت عالمة نفسية فهذه نفس الكلمات التي استخدمها!

وازداد غضب فيليبا. كم هو رجل مليء بالحقد! فلم يردعه وجود ابنة أخيه في المستشفى من الابتهاج بفشل خطتها. كم كان من سوء الحظ أن تتحطم السيارة فلو لم يحصل هذا لكانت الفتاة متزوجة الآن ومتحررة من سلطته.

وكررت جيسيكا هيبرد قولها:

ـ إنها راغبة حقاً في رؤيتك، لهذا اتصلت بي لأتصل بك.

ـ من الأفضل أن لا أزورها، فسيغضب السيد ليون إذا علم بالأمر.

ـ لن يعرف، وهي متشوقة لرؤيتك.

ـ ستنساني عندما تخرج من المستشفى، لقد قالوا لي انها تتحسن و...

ـ هناك درجات للتحسن.

وكانت لهجتها متوترة ونظرت إليها فيليبا بحدة متوقعة سماع المزيد، وعندما سمعت المزيد أحست بالصدمة ولم تستطع التكلم. وعاد الذنب الذي حاولت نسيانه إلى اعتلاء كتفيها بقوة أكبر:

ـ كاتي ليون لن تستطيع السير بعد الآن، وهمست فيليبا.

ـ ليس من العجب أن يشعر عمها بهذه المرارة.

ـ لم يكن يعلم بهذا بعد، يعتقد الأطباء أن السبب رضة في العمود الفقري، ولكنهم اكتشفوا أن العطب كامل.

ـ ألا تستطيع الحراك بالمرة؟

ـ من الخصر وإلى الأسفل. وحسب قول كاتي من الممكن أن تقدر على الحركة قليلاً عندما تزال الجبائر ولكنني لست واثقة من ذلك. فربما أخبرها الأطباء بذلك لمواساتها.

ـ إنها غلطتي. لن أخبر أحداً أبداً ماذا يجب أن يفعل حتى ولو هددوا بقتل أنفسهم أمامي!

ـ ولكن كان من الممكن أن لا تهرب تلك الليلة. لقد كانت ليلة

ممطرة ومن الممكن أن تنزلق وتكسر رقبتها. بحق الله أخرجي هذا من أفكارك، فكاتي كانت ستهرب مع صديقها مهما قلت لها.

ـ لا أستطيع.

ـ ستقدرين إذا ذهبت لرؤيتها. فإنها لا تلومك لما حدث فهمها الوحيد أنك طردت دون حق.

ـ لا يجب عليها أن تقلق من هذا.

ـ ابلغيها بنفسك. ستظل تتصل بي حتى تراك.

وتنهدت فيليبا فبالقدر الذي تخاف فيه من غضب ماريوس ليون إذا اكتشف أنها قابلت ابنة أخيه، كانت تعرف أن ضميرها لن يرتاح حتى تراها. وقالت لها جيسيكا وهي تغادر المقهى:

ـ السيد ليون في أميركا هذا الأسبوع، لماذا لا تذهبين إليها الليلة؟.

ـ هل تعنين أنني سأكون بأمان.

ـ العنف عند ماريوس ليون لا يتعدى الكلمات!

ومرت سيارة أجرة، وشاهدتها فيليبا وقررت أن تستقلها:

ـ سأذهب إلى رؤية كاتي الآن، سأتصل بك عند عودتي إلى المنزل.

ـ لا تنسي ذلك، واتركي عقدة الذنب في المستشفى.

٥ . صديقة جديدة

كانت مخيلة فيليبا تتصور كاتي ليون وهي في حالة حزينة. وعندما وقع نظرها عليها وهي ممددة على فراشها في المستشفى تأكد لها ذلك. لقد كانت صورة مشوهة للفتاة التي رأتها في الأسبوع الماضي الشاحبة كالسوسن، دون حياة كالجثة مما يبرر غضب عمها المرير وللمرة الأولى خف غضب فيليبا تجاه ذلك الرجل. فرؤية ابنة أخيه في هذه الحالة أزال عجبها من تعنيفه لها.

وقالت كاتي بضعف وقد رفعت يدها:

ـ أنا مسرورة جداً لقدومك. أراهن أنك لم تتوقعي رؤيتي بهذه الحالة.

ـ الحوادث تقع، ولكنني سمعت أنك تتحسنين.

ـ ربما كان سمعك أفضل من سمعي! فأنا لا أتحسن أبداً!

ـ هذا غير صحيح، منذ بضعة أيام كنت على لائحة الخطر والآن مسموح لك بالزيارة؛ وإلا لما كنت هنا.

ـ هل تسمين هذا تحسناً فالأطباء يقولون انني لن أتمكن من السير قبل سنتين.

ـ الأطباء غير معصومين عن الخطأ.

ـ أطبائي معصومين، فعمي لا يتعامل إلا مع الأفضل.

ـ إذاً اظهري لعمك أنه قد يكون مخطئاً أحياناً. صممي على السير

في ظرف سنة! يجب أن تحاولي يا كاتي. لا تستطيعين أن تستلقي هنا مع شعور الأسف على نفسك.

ـ لو كنت مكاني ستشعرين بالأسف. ظننت أنك ستكونين أكثر تعاطفاً.

ـ أنت لا تزالين حية وستتحسنين، فلماذا تحتاجين للعطف؟

واحمر لون الفتاة بغضب وبدا لون الحمرة على خديها الشاحبين.

ـ كنت أعرف دائماً أن الصحافيين قساة القلب، أنت تشبهين عمي تماماً. وشعرت فيليبا لحظتها بالنصر.

ـ لم تعتقدي بأنني قاسية ليلة قدومك إليّ وطلب النصيحة.

ـ لقد ظننتك السيدة هيبرد. كان يجب أن تخبريني من أنت.

ـ لم تعطني الفرصة. على كل كنت مساعدتها. وتجاوبت كاتي بسرعة مع استخدام صيغة الماضي.

ـ لهذا السبب أردت رؤيتك. فأنا آسفة لأن عمي طردك، فليس من حقه أن يفعل، لقد قلت له هذا.

ـ ما كان يجب عليك هذا. فلو لم تستمعي إلى تلك الليلة لما كنت هنا الآن.

ـ كنت سأهرب مع آلن مهما كان ردك. أردت فقط بعض التأكيد ولو لم تعطني إياها لظننت أنك كالآخرين متحاملين على آلن لأنه فقير.

ـ ولو كنت أعلم مدى غناك لربما كنت أعطيتك نصيحة مختلفة.

ـ هكذا إذاً! كنت أعرف أنك ستقولين هذا. فقط لأن آلن يعمل من أجل معيشته ولا يستطيع تحمل.

ـ لم أكن أفكر بوضع صديقك المالي. كنت فقط سأفكر بدقة أكثر حول وضعك أنت. فالفتيات الغنيات في الثامنة عشر من عمرهن لديهن نظرة تختلف عن الفقيرات.

ـ لم أكن وريثة أحد حين أتيت لأعيش مع عمي. وحياتي السابقة كانت عادية. ووالدي لم يكن يتقبل أبداً أية مساعدة مالية من

ماريوس، وكانت تطلعاتها مختلفة تماماً. فأبي كان لطيفاً وغير عابىء بالدنيا و. . . حسناً أنت تعرفين من هو عمي.

ـ انه رجل ذكي.

وتوجهت نحو مقعد لتجلس وأضافت:

ـ كم هي المدة التي ستبقينها في المستشفى؟

ـ ما الفرق؟ فانا سجينة فيما لو كنت هنا أو في بيتي.

ـ لا تقولي مثل هذا الكلام.

ـ انها الحقيقة. وانت تعرفين أن عمي لن يسمح لي برؤية آلن.

ـ لم أسمع بشيء كهذا.

ـ حسناً لن يفعل.

وتحرك رأسها على المخدة بقلق بينما بقي جسدها ساكناً.

ـ هل تحبين أن تعرفي كيف التقيت به؟

كانت قصتها كقصة نقرأها في مجلة قديمة الطراز. ومن الصعب التصديق أن مثل هذه الأحداث ممكنة الحدوث في أيامنا الحالية. ومع ذلك كانت الوقائع أكثر غرابة من الخيال كما روتها كاتي. كانت حياتها خالية من الأحداث حتى ماتت والدتها عندما كانت في الثانية عشر. وفي السنتين التاليتين أصبحت مقربة من والدها. وفي إحدى العطلات في «دورين» التقى بسيلا ميدوت وتزوجها خلال أسبوع وأتى بها إلى «نيروبي» ولم يغير الزواج من طريقة سيطرة آرثر ليون على بيته واستمرار حياتهم على نفس المنوال. ولم يكن مقدراً لهذا أن يستمر فقد مات بعد ثلاثة أشهر بنوبة قلبية، والتقت سيلا شقيق زوجها للمرة الأولى في الجنازة. وتأثر ماريوس بحزنها الصامت والطريقة الهادئة الفعالة التي تسيطر بها على الفتاة المحزونة المنكسرة القلب وعرض عليها فوراً استضافتها في منزله إلى أن تقرر أين وكيف ستعيش. وتابعت كاتي:

ـ كان هذا منذ أربع سنوات ولم تقرر سيلا حتى الآن!

وماريوس غبي لدرجة أنه لا يرى أنها لا تنوي أبداً أن تترك المنزل ستجعل من إقامتها دائمة.

ـ كيف؟

ـ ستتزوجه.

ـ وهل تمانعين؟

ـ لا أهتم للأمر. فهما يستحقان بعضهما. انه مستأسد ناري الطباع وهي عاهرة باردة!

ـ أنت تبالغين.

ـ بل أنا أقلل من الأمر. على الأقل بالنسبة لسيلا. وبالقدر الذي لا أحب فيه عمي. أظن أنها لا تليق به. وأنا متأكدة أنها هي من جعلته ضد آلن.

ـ لم تقولي شيئاً عن آلن بعد.

قالت فيليبا ذلك وهي تقاوم رغبتها في معرفة المزيد عن ماريوس ليون والشقراء سيلا.

ولكن لم يكن هناك كما يبدو الكثير لقوله عن آلن. فهو في الرابعة والعشرين. ويعيش والده في «ليفربول». ويعيش هو في لندن وهو ميكانيكي بالخبرة، وهوايته سباق السيارات، والتقى بكاتي عندما ذهبت في نزهة مع بعض الأصدقاء في أحد أيام السبت بعد الظهر ولفتا نظر بعضهما فوراً، ودون أن تشك في أن صداقتهما قد تلاقي معارضة من عائلتها دعته لزيارة المنزل.

ـ في الأسابيع الأولى لم يقل ماريوس شيئاً ولكن في إحدى الأمسيات استدعاني إلى غرفته وقال انه لا يريد أن أقابل آلن مرة أخرى. قال انني لا زلت صغيرة جداً لأقرر لنفسي، وأن آلن يريد فقط أن يتزوجني لأنني ابنة أخيه.

ـ هل كان لديه سبب محدد لهذا القول؟

ـ عمي ليس بحاجة أبداً لأسباب لما يقوله أو يفعله فعندما يفكر بشيء يصبح واقعاً.

ـ من المؤكد أنه بنى قوله على شيء ما.

ـ انها سيلا. لم تحب آلن منذ أن التقته. وكانت تعرف أنني إذا تزوجته فلن يبقى لها حجة للبقاء في المنزل ولو أن سيلا كانت تميل إلى الزواج من ماريوس فمن دون شك لن تشجع أي شيء قد يبعدها عنه. وسكنها في منزله لمدة أربع سنوات قد يكون له بعض التأثير والضمان لها.

ـ ليس هناك أي ضمان لأي كان في حياة عمي فهو ليس من نوع الرجل الذي تستطيع المرأة أن تكون متأكدة منه. لقد كانت سيلا خائفة إذا تزوجت آلن فسيطلب ماريوس منها أن تجد لها مكاناً تعيش فيه وتستطيعين تخيل مدى فرحتها لتعرف أنني سأبقى في مقعدي للسنوات القليلة القادمة. فذلك سيعطيها وقتاً أكبر لتغير عمي.

ـ حسب ما قلته لي عنه، لا أجد أن الأمر سهلاً. وربما إذا تزوجا سيكون أكثر تفهماً لوضعك مع آلن. وتهلل وجه كاتي، فقد كانت هذه الفكرة غائبة عن ذهنها من قبل، ونظرت إلى فيليبا نظرة متسائلة:

ـ في هذه اللحظات لا أعرف كيف سأرى آلن، فما بالك بالزواج منه. لقد منعه عمي من الحضور إلى المنزل وأنا مقيدة في مقعدي المتحرك... يا للعنة!

ـ مهما بلغت الصعوبة، ألا تظنين أن عمك قد يغير رأيه خلال أسابيع قليلة؟ عندما يرى أنك تتحسنين، ويزول غضبه... أعني أنه كان متكدراً لهربك.

ـ ليس هناك سبب لتكدره. فلو لم ينظر إلى كل شيء عبر المال لما بدا بهذه القساوة. فهو لا يعتقد أن أحد قد يحبني لشخصي فقط.

ـ أنا متأكدة أن هذا ليس صحيحاً. ولكن الفتاة بدأت بالبكاء عالياً، وجلب صوتها إحدى الممرضات التي رمقت فيليبا موبخة وأخرجت ساعتها وأخذت يد كاتي لتقيس النبض وقالت لها:

ـ لا مزيد من الزوار فهم يسببون لك التوتر.

وحاولت كاتي جاهدة توقيف دموعها ورمقت فيليبا بنظرة توسل:

ـ أنا لست متوترة، أرجوك أن تبقي.

ـ لقد طال وجودي هنا.

ـ ولكنك الشخص الوحيد الذي أستطيع التحدث معه عديني أن تعودي لرؤيتي!

ـ حسناً.

ـ غداً؟

ـ الأسبوع القادم.

ـ أعطني رقم هاتفك لأضايقك.

وابتسمت فيليبا وأعطتها الرقم وغادرت. وعندما جلست في الباص. أقسمت بأن لا تتورط في شؤون الفتاة. فقد يكون لماريوس ليون أسباباً أخرى لرفض زواجها بآلن. وحتى مصارحة سيلا المجهولة ممكن غض النظر عنه. وفكرت في ذهنها أن حب الفتاة لآلن يبدو مأساوياً. فإن كل ما قالته قد يكون مبالغاً فيه. ولقد خسرت وظيفة ممتازة بسببها ولا تنوي أن تعيد الكرة. فلتتولى عائلة ليون أمرها بنفسها!

واتصلت بها كاتي في صباح اليوم التالي وتوسلت إليها أن تأتي لزيارتها، ووجدت فيليبا نفسها غير قادرة على الرفض، وهكذا وجدت نفسها في الثانية من بعد الظهر إلى جوار سرير الفتاة.

كانت هذه الزيارة الثانية أقل توتراً من الأولى وبما أنهما تحدثا مطولاً عن كل شيء وجدت الفتاة نفسها تتحدث بالعموميات وأظهرت اهتماماً خاصاً بعمل فيليبا في صفحة «العزيزة جيسي» وقالت لها فجأة:

ـ ليس من العدل أن يطردك ماريوس. سأطلب منه أن يعيد إليك وظيفتك.

ـ لا تفعلي هذا فلن أعمل لعمك مهما حدث.

وبوجود ماريوس ليون في أميركا، لم تكن خائفة من اللقاء به صدفة

بالمستشفى ووعدت كاتي بالعودة في اليوم التالي.

ولن يكون لديها الوقت الكافي بعد هذا الأسبوع بعد أن تبدأ العمل بوظيفتها الجديدة، ولم يكن لديها فكرة واضحة عن نوع العمل مع جاك لان فإن كل شيء بدت الكلمة الأكثر ملائمة لوصف أول ثلاثة أيام من عملها في صحيفة «المونيتور» فقد غطت أزياء نيابة عن الكاتب المريض وقابلت نجم أغنيات باع أول مليون عن تسجيلاته وسافرت إلى «برايتون» لمقابلة وسيط أرواح يدّعي أنه اتصل بروح كارل ماركس. وحدها المقابلة مع نجم الأغنيات ظهرت في الصحيفة. ولكنها كانت مقطعة بقساوة إلى نصفها، وهو مصير يتعرض له معظم محرري الأخبار ولكن خيبة املها اختفت عندما ذهبت بعد ظهر الأربعاء لرؤية كاتي، فقد وجدت الفتاة جالسة في وضع مستقيم تماماً، وتبدو أفضل مما كانت تتوقع كم تبدو مشاكل المرء في عمله تافهة أمام الصحة، وقالت لها فيليبا:

- إنك تبدين أحسن مئة بالمئة مما كنت أول مرة.

- أشعر أنني أفضل الطبيب الفيزيائي راض تماماً عني.

- أنا واثقة من أنهم سيجعلونك تمشين قريباً.

- ليس تماماً، ولكنهم لا يتركوني مستلقية على ظهري لوقت طويل فأنا أستطيع الجلوس قدر ما أريد.

- هل أنت مسرورة من نفسك!

- أنت من يجب أن تكوني مسرورة.

- لماذا أنا؟

- لأن زياراتك لي كل يوم منعتني من المرض ضجراً.

أنت أول صديقة لي قريبة من عمري، في كينيا لم يكن لي أصدقاء، ومنذ أن أتيت لأعيش مع ماريوس لم يصادقني سوى المتزلفين بسبب ماله ومركزه.

- أيتها الفتاة الصغيرة الغنية المسكينة.

وعادت المرارة تكسر تقاسيم الوجه الفرح.

- أنا مسكينة الآن. ولكن لن يدوم الأمر. سأسير قبل نهاية السنتين فيليبا أشعر بذلك وفي أعماقي، وعندما وقفت على رجلاي... وهزّت كاتي رأسها وكأنما لا تريد أن تعبر عن أفكارها بالكلمات.

- ولكن لماذا تتكلم عني فقط؟ اخبريني كيف تجدين عملك الجديد؟ وأعادت فيليبا سرد ما حصل معها في الثلاثة أيام الماضية، مضفية بعض الخيال على ما حصل، حتى ان كاتي استغرقت بالضحك حول مقابلتها مع النجم الغنائي وفغرت عيناها من الدهشة، لإعادة تخيّلها لزيارة الوسيط. وتمتمت كاتي:

- كنت أتساءل كثيراً عن امكانية الاتصال بعالم الأرواح.

- هل تؤمنين بوجوده؟

- أتمنى ذلك. أعرف أن عمي يعتقد ان الأمر مجرد هراء.

لقد سمعته مرة يتحدث مع سيلا عن السحر. لن يعود في حالة شك إن حاول.

- ألا تبالغين بما يفعله عمك؟ أنا واثقة أنك تبنين تصورك على أنه ملك شيطان.

- إن تصوّري ليس بحاجة إلى تبيان، إنه فعلاً شيطان!

- لقد كان طيباً معك منذ وفاة والدك. وحسب ما قلتيه أعطاك ما تريدين، كذلك زوجة أبيك أيضاً.

- ماريوس يبقى رائعاً طالما نفذت كل ما يريد. ولكن في اللحظة التي تحاولين تجاوزه... مشكلته أنه يعتقد أنه يفهم أكثر من غيره.

ولم ترغب فيليبا أن تدخل في نقاش حول رئيسها السابق وحاولت تغيير الموضوع. ولكن كاتي كانت غير راغبة في ذلك ماريوس وآلن كان لهما الأولوية في تفكيرها وتريد التحدث عنهما. وفجأة أصبحت تضحك بعصبية، مما دفع فيليبا بأن تتساءل عن موقف العم من ابنة اخيه فآخر شيء تتمناه هو الموافقة على رأي واحد مع ماريوس ليون.

ـ لماذا تضحكين هكذا؟

ـ بسبب الطريقة التي اشرت بها لماريوس كرجل ناضج وكأنما أنت وأنا مجرّد أطفال. واعترفت فيليبا بقلق.

ـ ـ لقد جعلني أشعر هكذا.

ـ هذا لأنه فقد أعصابه أمامك. ولكن عندما يضع السحر على وجهه يستطيع أن يجعلك تشعرين كملكة سبأ.اوامتنعت فيليبا عن التعليق، وهي تشك بسحره وقدرته على جعلها تشعر كملكة سبأ. وتابعت كاتي حديثها:

ـ هل كنت فظة معه ايضاً. لم تخبريني أبداً ما قلته له.

ـ ليس الأمر مهماً.

ـ هل لا تزالين خائفة منه!

ـ ولماذا أكون خائفة، لم يعد له شأن بحياتي ولا يستطيع طردي من وظيفتي الحالية.

ـ لا أستطيع تصوّر شيء يعجز عنه.

ـ لا تكوني سخيفة.

ـ إذاً ما شعورك حول عمل شيء. . . شيء قد يزعجه إذا علم به؟

ـ لست متأكدة من شعوري.

ـ أريد منك مقابلة آلن عني. فلو كان هناك نوع من الصلة بيننا لربما شعرنا بالقرب أكثر.

ـ إنه دور لا أتخيل نفسي ألعبه.

ـ لا أطلب منك تحضير هروب آخر. لا أستطيع الهرب مع آلن بينما أنا في حاجة إلى معالجة مكلفة. ولكن مجرد الشعور بأنك رأيته وأبلغتيه عن حالي، ثم تعودي لتبلغيني عن احواله.

وظهرت الدموع في العينين الواسعتين ولم تستطع فيليبا إلا أن تتأثر بها. وعلى عكس كل قناعاتها وجدت نفسها توافق. وعندما غادرت المستشفى كان معها عنوان آلن في حقيبتها وقد وعدت بالاتصال به في

المساء. وعندما كانت تدير المفتاح في باب منزلها سمعت رنين الهاتف.

ـ يبدو أن جاك لا يكلفك بعمل إضافي. هذه الليلة الثانية التي احاول الاتصال بك.

ـ لا تلومي جاك ذهبت عند كاتي فور انتهاء عملي.

ـ كاتي ليون؟

ـ يبدو عليك العجب، لولاك لما ذهبت بادىء الأمر.

ـ أردت أن تريها لتريحي ضميرك لا أن تكوني مرشدتها والمشرفة عليها.

ـ ما الذي يدفعك لهذا القول.

ـ أشعر بهذا في قرارة نفسي. وأرى أن نفسي على حق. كنت آمل أن تكوني قادرة على إنكار ما قلته. وقالت فيليبا معترفة:

ـ ليس لدى كاتي من يرعاها.

ـ لديها الكثير من الناس لزيارتها والاتصال بها. لا تتركيها تؤثر بك.

ـ لن أفعل.

ـ أتعنين إنها لم تطلب منك بعد أن تكوني وسيطة بينها وبين صديقها.

ودل النفس العميق الذي أخذته فيليبا على الرد وأعطتها السيدة هيبرد رداً نم عن الاستياء.

ـ حقيقة يا فيليبا، أليس عندك الخبرة الكافية لأن تتورطي في شؤون الآخرين؟

ـ من حقك أن تتكلمي هكذا.

ـ على الأقل لدي خبرة التقدم في السن. وأنت تفعلين ما تفعلين دون تفكير.

ـ أعرف هذا تماماً. وبسببه ستكون كاتي في كرسيّ متحرّك للسنين القادمة.

هذه المرة كان على جيسيكا هيبرد أن تلتقط أنفاسها.

ـ إذاً أنت لا تزالين تشعرين بعقدة الذنب. كم كنت آمل أن لا تكوني هكذا.

ـ إنها ليست مسألة ذنب. إنني أحببت كاتي وأظن أنها أحبتني إذاً رؤيتي لها ستساعدها لن استطيع الرفض.

ـ أخبريني عن وصفها. فقد تكلمت معها على الهاتف فقط.

ـ إنها لا تشبه عمها أبداً فهي نحيفة وسمراء تشبه جنية صغيرة. وشكلها ليس جيداً ولها وجه نحيل وبارز. ولها طريقة لاتنقطع في الكلام، وتتصرف أحياناً كراشدة وأحياناً كطفلة.

ـ من المؤكد أنك درستيها جيداً، فهذا أكثر الأوصاف حياة مما سمعتك تعطيه عن أي إنسان. لقد جعلتيها تبدو ما بين اليس في بلاد العجائب وسنووايت.

ـ في هذه اللحظات هي أشبه بسنووايت.

ـ وأي قزم صغير تمثلين أنت؟

ـ أعرف أي أحد تمثلين أنت، يا مزعجة!

ـ حسناً، أنا مزعجة حقاً. ولكن لا تلوميني. فأنا من دفعك لرؤية كاتي وإذا كنت ستتورطين في حياتها إذاً أنا...

ـ لقد تورطت منذ أول لحظة فتحت بها فمي وقلت لها ما تفعل. ولاشيء تقولينه قد يغير الطريقة التي اشعر بها حول الموضوع. أنا متورطة حتى رقبتي.

ـ أعلميني بالأمر قبل أن تصلي إلى أعلى من رأسك وسأرمي لك حزام نجاة.

ـ سأتذكر هذا العرض.

وغيرت فيليبا الموضوع متعمدة لتستعلم عن صحة فرانك هيبرد وعندما وضعت السماعة من يدها وقفت إلى جانب الهاتف وهي تعلم جيداً أنها إذا لم تتصل بآلن على الفور فستنقصها الشجاعة فيما بعد. وتنهدت ثم أدارت القرص على رقمه وسمعت هاتفه يدق عدة مرات،

وكانت ستعلق السماعة عندما حضر ليرد وبدا مندهشاً عندما علم مع من يتكلم، وكان هناك تحفّظ لا يمكن إغفاله في صوته. وكأنما يخشى أن تكون المكالمة فخاً. ولكن عند الاستمرار في الحديث معه حول كاتي تغيّرت لهجته، وقبل أن تنهي المكالمة دعته لاحتساء القهوة.

أحسّت ذلك أم لا، لقد اقحمت نفسها كرباط بين عاشقين صغيرين وصلّت للسماء أن لا ينتهي هذا التدخل الثاني منها بمثل المأساة الأولى.

٦. فيليبا تتورط من جديد!

لم تكن كاتي قد وصفت لها آلن. ولم تكن فيليبا محضرة لرؤية الشاب الرفيع الأشقر الذي قدّم نفسه لها عند مدخل بيتها عند الساعة التاسعة من ذلك المساء. جلس على أحد المقاعد وبدأ يتبادل الحديث معها وكأنما هو يعرفها منذ سنوات. ويتصرف وكأنما الأمر مسلّم به بأنها إلى جانبه تماماً. وقالت خلال فترة صمت قصيرة من حديثه:

ـ أظن أن هناك فائدة كبيرة أن يكون المرء سويدياً أو سويسرياً. فهم دائماً حياديون.

وعلم فوراً ما تقصد، على الرغم من أنه لم يبد عليه الارتباك، أجاب:

ـ حتى الحياديون لديهم وجهة نظر، فبقاءهم حياديون يجعلهم يرون الأشياء بطريقة أقل تحيّزاً!

ـ ولكنهم يبقون حياديون ـ كالقرود الحكيمة الثلاثة.

وبدا مرتبكاً فأضافت:

ـ لا تتحدث بشرّ، لا ترى الشرّ، لا تسمع الشرّ.

ـ ليس هناك شرّ فيما يتعلق بكاتي وزواجي منها بالتأكيد، ولا تستطيعين لومي حول الحادثة، كما فعل عمها. فعندما فتحت عيناي ورأيتها عالقة تحت السيارة وقد قذفت أنا سالماً، كنت مستعداً لدفع عشر سنين من حياتي لأبدل نفسي مكانها.

ـ أنا أكيدة أنها ستصبح على ما يرام.

ـ هل يمكن لأحد أن يكون واثقاً؟ هل تكلمت مع أطبائها؟

ـ لا لم أفعل. لقد سمعت ذلك من كاتي.

ـ إذاً السماء وحدها تعلم الحقيقة! أنا واثق أنهم لن يبلغوها شيئاً إذا كانت ستصبح مقعدة مدى الحياة.

ـ يجب أن لا تفكر هكذا. فهي أفضل بكثير مما كانت عليه. حتى في الأيام الأخيرة أصبحت شخصاً مختلفاً.

ـ كيف لي أن أعلم؟ لا يسمحون لي بالبقاء قربها.

ـ هل حاولت التحدث مع السيد ليون؟

ـ من الأسهل التحدث إلى الدالاي لاما! ولكن يوماً ما سأجبره على التحدث معي، سجلي كلماتي.

وشعرت بجلدة رأسها تتقلص خيفة وقالت:

ـ أنت لا تنوي عمل شيء أحمق. أليس كذلك؟

ـ إلا إذا رأيت أن الحماقة هي الزواج من كاتي؟

ـ لم أعنِ هذا

ـ ماذا عنيت إذاً؟

سؤاله الفظ استدعى جواباً فظاً فقالت:

ـ كاتي ليست في حالة، لا فكرية ولا جسدية، لأن تتزوج أي كان في هذا الوقت، فهي في حاجة إلى الراحة والعلاج.

وقف على قدميه وأخذ يزرع الغرفة قائلاً:

ـ لا حاجة لقول هذا لي. فهي بحاجة لكل شيء لا أستطيع توفيره لإعطائها العناية والاهتمام وأفضل الأطباء، وأفضل المعالجين الفيزيائيين، وكل الأشياء التي يمكن لأموال ماريوس ليون أن تشتريه لها. الشيء الوحيد الذي لا يقدر على شرائه لها هو السعادة! فأنا الشخص الوحيد القادر على منحها إياه.

والتفت إلى فيليبا وعيناه البنيتان المشعتان تبحثان عن شيء.

ـ هل توافقين معي؟

ـ لا أعرف بما فيه الكفاية لأوافق معك أو لا.

ـ ولكنك طلبت مني القدوم هنا... للتحدث حول كاتي. لا يمكن أن تكوني ضدنا!

ـ أنا حيادية، أريد أن تبقى كاتي هادئة قدر المستطاع. لهذا السبب فقط وافقت على مقابلتك! لإيقاف كاتي عن الاضطراب.

ووضع آلن يديه في جيب بنطلونه. وحدّق مفكراً في أطرافه. وقال ببطء:

ـ أنت صارمة، هذا كل ما أستطيع قوله عنك.

ـ شكراً.

ـ لا أنا أعني ما أقوله، لا تفهميني بشكل خاطىء.

ولم ترد، وبدأ بالتجوال بكل الغرفة، ناظراً إلى كتبها، المؤلفات الكلاسيكية وسيرة الأشخاص المعاصرين وعلى صورها ورسم زيتي أصلي اشترته من احد الشوارع وبعض الرسومات المائية الدقيقة التي كانت هدية لعيدها الواحد والعشرين من أهلها. ولم تكن واثقة مما إذا كان يحاول تهدئة نفسه، فانتظرت وهي تراقبه. وقال فجأة:

ـ أنت لست كما تصورتك، ظننت أنك أكبر عمراً وأكثر صرامة!

ـ كما هي فكرة كل رجل عن الصحافية. أنا آسفة لخيبة املك.

ـ ليست خيبة أمل.

وتقدم ليقف إلى جانبها مضيفاً:

ـ أنت حسنة المظهر جداً.

لقد كانت معتادة على المجاملات كي تحمر خجلاً، وهذا احد الأشياء الجيدة من العمل في «فليت ستريت» ونظرت إلى آلن بكامل قوة عينيها الذهبيتين. فلو كان عابثاً، فمن الأفضل أن تكشف ذلك الآن وتقدم النصيحة لكاتي.

وحدق بعينيه الزرقاوين الفاتحتين إليها، ولكن لم يكن فيهما أي إشارة إلى الغزل. بل فقط الصراحة والاهتمام. وهكذا ارتاحت وطلبت

منه الجلوس. وفعل، مؤرجحاً إحدى رجليه بطفولية فوق ذراع المقعد، وهو تصرّف جعله يبدو أصغر من عمر الستة والعشرين وسألها باقتضاب.

ـ هل تظنين أنني أسعى وراء مال كاتي؟

ـ لا أعرف، هل أنت كذلك فعلاً؟

ـ ليس لديها مال إنه أمر لا يزال قيد التخمين حول إذا ما كان عمها سيستمر أم لا في إبقائها على نفس الطراز الذي جعلها تتعود عليه!

ـ من المؤكد أنه لن يفعل إذا تزوجت من شخص لا يوافق عليه.

ـ إذاً لقد جاوبت على سؤالك أليس كذلك؟ لأن السيد الأسد ملك الأدغال لا يوافق عليّ. وإذا تزوجت أنا وكاتي سنعيش على مرتبي فقط.

هذا التصريح جعل فيليبا تتساءل مرة أخرى عن سبب رفض ماريوس ليون لآلن بدفورد. هل أن الأمر عائد فقط لنقص المال عنده أم أن هناك سبب آخر، أساسي أكثر؟ ومع أن آلن طيّب الخلق، فمن الواضح أنه تحدّر من خلفية عاملة، قد لا تتناسب مع مبادىء ماريوس ليون عن الشخص المناسب المقبول لابنة أخيه. ليس لأن ذلك عائد إلى أن ملك الصحافة نفسه يتحدر من خلفية ثرية أو من مالكي الأراضي، بل لأن الأشخاص الذين صعدوا إلى القمة عن الطريق الصعب غالباً ما يكونون متكبرين أكثر من الارستقراطيين أنفسهم.

ـ إذا تزوجت أنت وكاتي في النهاية، ولم يزل عمها يرفض أن...

ـ سنتدبر أمرنا، لن أستطيع غمرها بالماس، ولكنها لن تكون محتاجة! فأنا مسؤول عن كراج في لندن الشمالية، ولا يوجد شيء لا أعرفه عن السيارات.

ـ بهذا التواضع؟

ـ التواضع لا يجني المال.

ـ أعلم انك تسابق أيضاً.

- إنها هواية. ولكنني مهتم اكثر بتطوير السيارات للسباق، وتحسين اداء المحركات وأشياء كهذه.

- إنك تصور أن الأمر وراءه مشاكل.

- هناك مشاكل، ويحتاج الأمر إلى مال. وإذا وجدت الدعم اللائق استطيع إنتاج سيارة رابحة في ستة اشهر. ولكن كما هي الحال... اتسابق قليلاً كما أنا، ذلك يوفر بعض المال الإضافي، والعديد من الفتيات. ليس عندك فكرة عن شعبية سائق السيارة.

- من الأفضل أن لا تسمعك كاتي!

- أنا أتحدث عن الماضي. فبعد ان التقيت كاتي لم تعد هناك واحدة غيرها. لقد التقيتها في حلبة السباق ولولا السباق لما التقيتها. اجتماعياً هناك فرق بيننا.

وعاد إلى زرع الغرفة مجدداً، محركاً بملل عدة زخارف.

- ما هي فرصتي لرؤيتها؟

- لا وجود لفرصة إلا إذا حصلت على موافقة السيد ليون. قد تتمكن من التسلل بينما هي في المستشفى، ولكن عندما تعود إلى المنزل لن يكون أمامك أية فرصة.

- ماذا أفعل إذا؟

- لا أعلم، هل أنت متأكد انه لن يتحدث معك؟

وتقدم ليقف أمام فيليبا.

- قطعاً.. ما هي فرصتك لإقناع النبيل ليون ان يغير فكره؟

- إنها أقل من فرصتك. فهو لا يحبني بالقدر الذي لا يحبك فيه.

- هذا يبدو لي خطأ، فما سمعته عنه ان عينه دائماً على الفتيات الجميلات.

وقالت فيليبا متمتمة «ليس من يطردهن» ووقفت. فقد مضى الوقت. ووعدت كاتي أن تقابل آلن وها هي قد فعلت. ولن تجعل اللقاء يصل إلى درجة قد تحركها نحو المساعدة ويساعدهما في خططهما.

وأدرك آلن ما يجول في ذهنها، والتقط سترته الجلدية ووضعها على كتفيه قبل أن يتحرك نحو الباب، وأعطته السترة جواً من الرجولة زاد من القوة لقسماته الرقيقة، واستطاعت أن تفهم لماذا وقعت كاتي في حبه. وتحركت نحو الباب قائلة:

- هل هناك رسالة خاصة تريد إيصالها لكاتي؟

- أخبريها انني احبها وعليها أن تتحسن بسرعة.

- أظن أن القسم الأول من رسالتك سيساعد على تحقيق القسم الثاني.

- آمل ذلك.. وبإشارة مودعة من يده سار خارجاً من الغرفة

وذهبت فيليبا لرؤية كاتي خلال فرصة الغداء في اليوم التالي، لعلمها أنها متشوقة لمعرفة اخبار آلن. ولحسن الحظ كان اليوم الجمعة. وهذا يعني ان الأخبار الرئيسية ليوم السبت قد ذهبت إلى الطبع مساء الخميس، مقالتها الأولى التي تحمل اسمها من المتوقع أن تظهر في الصحيفة يوم الاثنين، وهي الآن على طاولتها بانتظار المراجعة الأخيرة.

ولم تكن ترغب في البقاء بعيداً لمدة طويلة فاستقلت تاكسي للذهاب الى المستشفى، وتجاهلت المصعد، وركضت صاعدة السلم الى الطابق الثاني نحو غرفة كاتي. ولم تدرك ان شخصاً آخر يسد الضوء من النافذة موجود مع كاتي إلى أن فتحت الباب ووقفت لاهثة.

وهرب اللون من وجهها ووقفت مسمرة حيث هي. كم كانت غبية لعدم تذكرها ان ماريوس ليون قد عاد في هذا اليوم! ومن الواضح ان أول شيء سيقوم به هو زيارة ابنة اخيه. ونظرت إلى كاتي وضمت شفتيها:

- سأعود فيما بعد. لم أكن أعلم أنك...

وأتى صوت ماريوس ليون عالياً في الغرفة الصغيرة.

- لا تذهبي بسببي... اجلسي.

وجلست فيليبا بعصبية. ولم تشعر بالارتجاف إلا بعد أن رفعت رجليها قليلاً. من الجنون أن تترك وجود هذا الرجل يؤثر عليها

هكذا. فلم يكن يعني لها شيئاً وليس هناك سبب لأن تكون خائفة منه. ومع ذلك فقد كانت ترى تماماً كتلته الجسدية الصافية: كتفاه العريضان، ورأسه الذي يشبه رأس الأسد ورجلاه الخفيفتان اللتان تكاد تلمسان الأرض بينما هو يتحرك من النافذة إلى السرير، وكأنما يجد أن صغر الغرفة مقيد له. انه كأسد في القفص، كما فكرت، وأدارت رأسها عنه. وقالت كاتي مقاطعة تفكير عمها بلقاء أجراه مع سيناتور اميركي.

ـ فيليبا تعمل الآن في جريدة (المونيتور).

وتوقف في وسط الغرفة وحدق بفليبا قبل أن يتطلع إلى ابنة اخيه.

ـ ليس هناك نقص في الوظائف لكاتب جيد في شارع «فليت».

ـ إذاً أنت تعترف أن فيليبا كانت ممتازة. أليس كذلك؟

ـ ذلك صحيح وإلا لم يوظفها كيندي جونز!

ـ أنت من وظفها.

ـ بشكل غير مباشر.

ـ ولكنك صرفتها من العمل مباشرة.

وتوردت وجنتا فيليبا «كاتي أرجوك...».

وأصرّت كاتي قائلة:

ـ لماذا لا أقولها؟ ليس لديك سبب لأن تكوني محرجة بما حدث، فعمي ليس محرجاً.

وعلق بصوت خال من التاثر.

ـ لم أكن أبداً محرجاً لما أقوم به.

ـ لأنك لا تهتم بالناس.. وانهمرت الدموع من عيني كاتي. وأجابها وقد اقترب من سريرها ليضع يده الكبيرة على تاجها الداكن:

ـ أنا أهتم بك.

وكانت إيماءة حنونة غير متوقعة، وراقبته فيليبا مذهولة وهو مستمر في تمرير يده على خصلات شعرها، ويتحدث إليها بلهجة هادئة:

ـ لقد تحسّنت كثيراً أثناء غيابي، لقد عدت طبيعية تقريباً. ويقول

الأطباء انك قادرة على الذهاب إلى المنزل في الأسبوع القادم.

ـ أفضل أن أبقى هنا، فأنا أكره غرفة نومي في المنزل.

ـ لقد أعدت تزيينها لك.

وارتفع الوجه الشاحب نحوه وقد تبدلت ملامحه.

ـ أوه ماريوس كم أنت لطيف! ليس لديك فكرة كم كنت أكره فرش تلك الغرفة.

ـ كان يجب أن أفعل، فقد ذكرت ذلك بما فيه الكفاية.

ـ لأنك كنت ترفض أن تغيرها لي.

وأمسكت بيده ووضعتها على خدها.

ـ هل جلبت لي التعليقة النحاسية المربعة وهل غيرت ورق الجدران؟

ـ كل شيء حسب ما تريدين، لقد أصبحت جديدة من الثريات الى السجادة التركية. والتفت نحو فيليبا ليقول:

ـ من حديثنا أدركت أن كاتي لا تحب الطراز القديم.

واستدار الرجل نحو السرير قائلاً: «أنا متأكد أن هناك ثرثرة طفولية تريدين تبادلها مع الآنسة...» وتوقف محاولاً تذكر اسم فيليبا الثاني. ثم تابع بسهولة «سأراك في وقت لاحق هذه الليلة وسيكون ذلك باكراً لأنني سأتعشى في مركز رئاسة الوزراء».

ـ هل ستعلم رئيس الوزراء إدارة البلاد؟

ـ أنا أكيد أنك تفضلين ذلك أكثر من تعليمك كيف تديرين حياتك!

ـ ليس لدي حياة لأديرها الآن.

ومرة اخرى عادت كاتي إلى الكآبة وبارحتها روحها المرحة وهزّ ماريوس ليون كتفيه وتوجه نحو الباب وانحنى باتجاه فيليبا وخرج. ولم يكد الباب يقفل خلفه حتى فتحت كاتي ذراعيها لفيليبا.

ـ ماذا قال لك آلن؟ هل أعطاك رسالة لي؟ كيف هو؟ لقد قابلته الليلة الماضية أليس كذلك؟

وأجابت فيليبا وهي تنظر إلى الخلف نحو الباب لتتأكد من انه مقفل

وأعادت سرد لقائها مع آلن، وأجبرها إصرار كاتي على تذكر كل كلمة قالاها. وانهمرت الدموع من عيني كاتي على وجهها وانتشرت على خديها المحمرين.

ـ لقد جعلت الأمر يبدو وكأنه معك في هذه الغرفة، انت راوية رائعة يا فيليبا.

ـ أنا لا أروي لك قصة، إنها الحقيقة.

ـ وهل تعتقدين انه لا يزال يحبني؟

ـ بالطبع يحبك.

ـ هل أخبرته انني لا أزال احبه؟

ـ لم يكن من الضرورة أن يسأل مثل هذا السؤال السخيف

ونظرت فيليبا إلى ساعتها ووقفت تقول: «يجب أن أذهب لقد أسرعت لأراك لأنني أعرف انك متشوقة لسماع ما حدث».

ـ هل ستعودين هذه الليلة؟

ـ لا أنوي إعادة سرد القصة كلها.

ـ متى سترين آلن مرة ثانية؟

السؤال جعل فيليبا تدرك صعوبة وضعها، فبموافقتها على مقابلة آلن مرة، سيكون من الصعب ان لا تفعل ذلك ثانية. وهذا ما لا تريد بالضبط ان تفعله.

ـ لا تبكي يا عزيزتي، أنا واثقة من أن كل شيء سيعمل لصالحك إنها مسألة وقت فقط. لو تتعلمين كيف تسيطرين على طبعك مع عمك، فأنا أكيدة أنك ستجبرينه على مقابلة آلن.

ـ أحاول ان لا أفقد أعصابي ولكنني لا أستطيع فأنا أتكلم قبل أن أفكر. وهذه مشكلتي الدائمة.

ـ على الأقل تعرفين غلطك وهذا نصف الطريق لتغيري أغلاطك.

واعطت الفتاة محرمة ورقية، وانتظرت حتى زالت الدموع تماماً

وتوقفت قبل أن تلتقط حقيبتها وتتحرك نحو الباب قائلة «إذا لم أصل إلى المكتب حالاً سيطردونني».

ـ هل ستأتين غداً؟

ـ لست متأكدة، فعمك قد عاد وأنا...

ـ يعرف أنني كنت التقي بك. لن تتوقفي عن القدوم بسببه.

وعادت دموعها تنهمر. وهزت فيليبا رأسها موافقة وأسرعت بالخروج تبحث عن تاكسي. وكانت سيارة رولزرويس خضراء داكنة متوقفة على بعد بضعة أمتار من الشارع قد تحركت باتجاهها، وعندما اقتربت منها فتحت النافذة السوداء وبدا لها وجه ماريوس ليون، وبدا لونه أكثر برونزية، الأمر الذي أظهر شعره أكثر رمادية. كان غريباً أن يكون بهذا اللون، وتساءلت عما إذا كان شعره دائماً بهذا اللون. وقال لها بشكل مفاجىء:

ـ لقد كنت أنتظرك.

ـ لم أعرف ذلك.

ولم تخفف من سرعتها، وتحركت السيارة ببطء لتماشيها، وتابع ماريوس ليون يقول:

ـ لم أرد أن تعرف كاتي، فقد يسبب لها قلقاً.

ـ لا أرى سبباً لذلك. لا تستطيع أذيتي أكثر، لقد طردتني وانتهى الأمر.

ـ قد أكون تسرعت بهذا القرار..

وفتح باب السيارة قائلاً «أدخلي».

وقررت أن النقاش غير ضروري، واستجابت لطلبه، وعندما حاولت إغلاق الباب علق اصبعها في لسان القفل فانفتح الباب مجدداً فاضطر إلى الانحناء وأغلق الباب لها. وشعرت بثقل رجله على رجلها ونظرت إلى قسمات وجهه الجانبية، الأنف العارم الكبير، والحاجبان الكثيفان ورموش عينيه الكبيرة. قبل أن يعتدل في جلسته ويمضي السائق بالسيارة إلى الأمام.

وبدا في السيارة الضيقة أضخم مما كان في غرفة المستشفى. وارتعش فمها وخفضت بعجل عيناها عنه. ووقعتا على منظر يده الضخمة، كانت يده جميلة وذات أصابع طويلة.

ـ وظيفتك لا زالت متوفرة. فالسيدة هيرد تحب أن تتولى أمر صفحة «العزيزة جيسي».

ـ أنا أعمل الآن لصحيفة «المونيتور».

ـ سيكون راتبك أكبر بكثير. أنا أعرض عليك استعادة وظيفتك يا آنسة...

ـ روجرز... أنت تضيع وقتك سيد ليون، لا أنوي العمل لك بعد الآن.

ـ إذا رغبت في أن أعتذر عما قلته لك في مكتبي، فاعتبري أنني اعتذرت أرجوك.

ـ الأمر لم يعد يهمني، على كل، كنت أفضل ان لا تكذب.

ـ هل لديك هذا اللسان السليط دائماً؟

ـ عندما يكون لدي شيء لألسعه.

وأصدر صوت زفير لم تعلم ما إذا كان صادراً عن حبور أم عن غضب.

ـ أظن أن كاتي تستخدمك كمحطة بينها وبين آلن بدفورد.

وفاجأ هذا التصريح فيليبا، وللمرة الثانية في ذلك اليوم غضبت من نفسها لقلة ملاحظتها للأمور. فقد كان يجب عليها أن تخمن أن رجلاً في خبرة ماريوس ليون يعرف حتماً كيف يعمل عقل كاتي الذكي. وتابع يقول بنفس اللهجة:

ـ لا تنكري.

ـ لم أنو الإنكار، لو تخبرني ماذا تريد أن تعرف بعد، سأوفر عليك مشقة تخمينات أخرى.

ومرة ثانية عرفت أنها قد استفزته، لأنه استدار ونظر إليها وأصبحت

عيناه رماديتان غامقتان في غياب الضوء عنهما حتى بدتا سوداوين تقريباً. وقال:

ـ حسناً أخبريني.

وأسندت نفسها إلى الزاوية.

ـ لقد شاهدت آلن بدفورد الليلة الماضية لأول مرة. لقد أرادتني كاتي أن أبلغه أنها لا تزال تحبه وان تعلم ما إذا كان لا يزال يحبها.

ـ بالطبع لا يزال يحبها، وسيظل يحبها حتى مماته! هل أنا على صواب؟

ـ لم يقل هذا تماماً، ولكنه لا يزال يحبها.

ـ أراهن على ذلك، فهي بطاقة عبور جيدة لأي رجل.

ـ ألا تظن أن أحداً يمكن أن يحبها لشخصها؟

ـ أجل، ولكن ليس بعد، وليس بدفورد. إنها طفلة بالنسبة له.

ـ هذا رأيك أنت.

ـ وهذا كل ما أهتم به!

وحرك يده بعنف بحيث أنها تراجعت بحدة حتى أنه توقف ونظر إليها. وبدا وميض في عينيه، وتحركت يده مرة أخرى ولكن إلى جيب صداره ليخرج علبة من جلد التمساح ويأخذ منها سيجار. وقال بلهجة ثابتة:

ـ لم أضرب امرأة في حياتي، فلدي وسائل أخرى لإخضاعهن.

ـ أنا لست احدى نسائك!

وتجاهل قولها وأشعل السيجار وقال:

ـ بالنسبة لبدفورد، أفترض أنك لن تستجيبي إذا طلبت منك أن لا تعملي كمراسل بينهما؟

ـ إلا إذا اعطيتني سبباً وجيهاً، غير معارضتك اللامنطقية.

ـ أنت لا تعرفين لماذا أعارض.

ـ لأنه ليس ثرياً.

عندها، رأت أن غضبه قد تصاعد. وكان ذلك واضحاً في فتحات أنفه وضيق جفن عينيه المفاجىء.

ـ لقد كنت فقيراً في السابق. وحالة بدفورد هي آخر شيء أهتم به في الدنيا.

ـ إذاً، لماذا لا تحبه؟

ـ لأنه لم يكن ليتطلع بكاتي لو كانت فقيرة!

ـ وكيف تعرف ذلك؟

ـ لقد كان شغلي الشاغل أن أتقصى عنه!

ـ أتعني أنك تجسست عليه!

ـ لقد بحثت في ماضيه، وما علمته عنه لا يوحي لي بالثقة. لا يغرنك مظهره. فهو يتفوق على كازانوفا!

ـ ولكنه يريد الزواج بكاتي.

ـ فقط لأنها ابنة اخي. لقد كان يعيش مع فتاة أخرى عندما التقى بكاتي.

ـ وان يكن؟ لو أنه لا يزال يعيش مع الأخرى، عندها...

ـ إنه أذكى من أن يفعل، فلحظة عرف من هي كاتي تخلى عن صديقته و.

ـ إن هذا لا يبرهن أنه لا يحب كاتي. فهل يمنعك ماضيك من أن تقع في حب حقيقي في المستقبل؟

ـ نحن لا نتحدث عن عالم حبي الخاص.

ـ وما الشيء الخاص عن حياتك؟ لديك الخبرة الكافية لتعلم أن الرجل غالباً ما يتزوج فتاة تختلف تماماً عمن يعاشرهن!

ـ انت تتعمدين اساءة فهمي. أقول لك ان كاتي ليست من طرازه.

ـ هل كل نسائك من نفس طرازك؟

ـ ممكن أن تقولي هذا.

واستيقظت الحشرية في نفسها، ولكنها أوقفتها فوراً.

ـ حتى ولو كنت محقاً حول آلن، فلن تدفع كاتي لرؤية الحقيقة، بالالتفاف حولها كما تفعل. فكلما منعتها من رؤيته كلما ازدادت مقاومتها لك.

ـ أنا لم أمنعها من رؤيته في البداية. لقد عارضتها عندما علمت أنها جادة.

ـ لم يكن يجب أن تفعل.

ـ هل كنت سأنتظر حتى تدرك الأمر بنفسها؟ وماذا لو لم تفعل؟

ـ لن يكون الأمر أسوأ مما هو عليه الآن.

ـ ماذا تقترحين عليّ أن أفعل؟

لم تكن تتوقع السؤال، ولا الطريقة التي مال بها عليها، بنصف غضب ونصف توعد، مما أعلمها أن السؤال ليس متكلفاً.

ـ اترك كاتي وآلن يلتقيان، فهي لا تستطيع السير، لذا لا حاجة لخوفك من هربها مرة أخرى.

ـ أنت قاسية في كلامك.

ـ لم أقصد ذلك. كنت أحاول فقط أن أقول انهما من غير المحتمل أن يهربا في الوقت الحاضر. ولكن إذا منعت لقاءهما، فتستخدمني كاتي أو أي شخص آخر لإيصال الرسائل له. وبجعل علاقتهما سرية أنت فقط تزيد من الإثارة. وإذا كنت تعتقد فعلاً أن آلن لا يناسب كاتي، أو أنها مفتونة به فقط، اترك لها فرصة لتعرف ذلك. وإذا كنت مصيباً ستتخلى عن حبه، وإذا كنت مخطئاً... ربما ستكون صادقاً مع نفسك كفاية لتعترف، وتمنحهما بركتك.

وصمت طويلاً حتى أنهما قطعا مسافة شارع فليت دون أن ينبسا بكلمة. وعندما توقفت السيارة أمام مدخل صحيفة «المونيتور» خرج عن صمته.

ـ سأدع ابنة أخي تقابل آلن شرط وعد منك بالتواجد معهما في كل لقاء.

ـ أنت تمزح! لا يمكن أن تجعلني حارسة على كاتي.

ـ هذه شروطي. وإذا كنت تريدين سعادتها...

ـ أو لا تريد سعادتها أنت؟

ـ بالطبع، ولكنني أعتقد أنني أستطيع تحقيق سعادتها بابقاء آلن خارج حياتها. وأنت تؤمنين بالعكس. ولن نعرف من منا على صواب إلا إذا تركنا لها فرصة اللقاء.

ـ وإذا اكتشفت أنهما يحبان بعضهما حقيقة؟

ـ عندها ممكن أن يتزوجا، إذا استطاعت كاتي أن تمشي مرة أخرى.

واستوعبت فيليبا الكلمات ببطء، وعندما استوعبتها تماماً امتلأت بالرعب «هل تعني أنها... أنها قد لا تستطيع السير مرة أخرى؟».

ـ الأطباء ليسوا متأكدين. أقول لك هذا وأنا واثق بك، أرجو أن لا يذاع الأمر.

ـ بالطبع لا. ولكن هل يجب أن أكون موجودة عندما يلتقيان؟ بالتأكيد أنا آخر شخص تثق به!

ـ بالعكس. فانت من قلت لكاتي أن تهرب، والنتيجة كانت كارثة كما ترين بنفسك، ومن المستبعد أن تعيدي الكرة!

وأحست بالكلمات تضربها كما السكين في الجرح. وقالت له وهي ترتجف:

ـ وتتهمني بأنني قاسية بكلماتي.

ـ وخرج من السيارة منتظراً خروجها قائلاً:

ـ أنا أفعل ما يجب علي. هل توافقين على شروطي؟

ـ لقد جعلت الأمر مستحيلاً على الرفض، أليس كذلك؟ هل تنجح طريقتك دائماً.

ـ نعم. وأنصحك أن تتذكري ذلك في المستقبل.

٧. طيف في حياتها

بعودة ماريوس ليون، أصبحت فيليبا حريصة على التأكد من عدم وجوده في المستشفى عندما تذهب لرؤية كاتي. وكانت تتصل بها قبل كل زيارة، وكان هذا الإحراج البسيط أفضل من إحراج أكبر عندما تواجهه.

ورأته مرة واحدة منذ لقاءهما الاستثنائي وحديثهما في السيارة، ولكن للحظة عابرة فقط عندما كانت تغادر المستشفى وكان داخلاً لتوه برفقة أحد الأطباء. وقالت لها كاتي متذمرة، عند حضورها لزيارتها لعدة دقائق أثناء عودتها إلى المنزل وهي تنظر إلى ساعتها بقلق:

ـ لماذا تخافين منه، إن هذا يصدمني. لقد كان هنا هذا الصباح، لذلك لن يحضر مرة أخرى. وبما أنني لست على حافة الموت فهو لا يحضر سوى مرة في اليوم.

ـ أنا مندهشة لزيارته الدائمة. فلو كنت فظة معي كما أنت معه، لما حضرت بالمرة!

ـ لا تقولي انك في صفه!

ـ أنا لا أعتبر نفسي عدوة لعمك. أعتقد أنه ديكتاتوري جداً، ولكنه يهتم بمصالحك من كل قلبه.

ـ ألا تعنين أنه يعتقد دائماً أنه يعرف ما هو الأفضل لكل من سواه؟

ـ أفترض ذلك. وهذا ما يجعل الوفاق معه صعباً، ولكن لا يجعله... لا يجعله ذلك غير محبوب.

ـ أتجدينه محبوباً؟

ـ أنا لا أتكلم بصفة شخصية.

ـ إذاً لا تتكلمي بالمرة، فقد سئمت الأحكام بصفة عامة.

ووقفت فيليبا، وتجعد وجه كاتي فوراً:

ـ أرجوك لا تذهبي، لم أكن أقصد أن أكون فظة.

ـ بالطبع قصدت ذلك، فأنت طفلة مدللة وتحتاجين للضرب على مؤخرتك.

وقالت كاتي بمرارة:

ـ لا تستطيعين ضرب مقعدة:

وتلاشى غضب فيليبا فوراً. فمن الممكن أن تكون كاتي فظة ومستبدة وفي بعض الأوقات صعب التوافق معها، ولكن يجب أن يتذكر المرء أنها تعاني الألم دائماً، رغم اخفاءها الأمر، وان يدرك امكانية عدم قدرتها على السير مرة أخرى.

ـ في الحقيقة يجب أن تحاولي السيطرة على نفسك، أنا أعلم أن الأمر صعب ولكن...

ـ لقد كان لدي طباعي دائماً. فأبي كان دائم المشاغل، والانفعال كان الطريقة الوحيدة للفت نظره إلي.

ـ هل كان مشغولاً عنك دائماً؟

ـ لقد كان مشغولاً بعمله وهواياته. لقد كان عالماً طبيعياً ورساماً رائعاً. ولقد قام بدراسات رائعة عن الفراشات. ولم يكن يدري ما يجري حوله، وأنا واثقة أن سيلا هي التي دبرت أمر زواجه منها.

وكالعادة عندما يجري ذكر زوجة أب كاتي، حاولت فيليبا أن تتخيلها. ولكنها لم تقدر على رسم صورة لها. فامرأة كانت سعيدة لزواجها من موظف حكومي، وعالم طبيعي، لا تتناسب مع صورة

مخططة جشعة تنوي اصطياد شقيق زوجها الثري. وسألتها كاتي:

ـ ماذا يشغل تفكيرك؟

ـ زوجة أبيك، فلقد كانت زوجة سعيدة مع أبيك، فإنها إذاً ليست من الطراز الذي يهتم بمصالحه الخاصة. ولا أستطيع أن أتصورها تمنعك من الزواج لأنها تخاف أن يطردها عمك فيما بعد.

ـ إنها الحقيقة. فسيلا بقيت زوجة لأبي لأشهر قليلة، كما تعرفين. والزواج من أبي منحها حياة أفضل مما كانت تعيش. لقد كان لديها خدم ومنزل جميل وزوج له أهميته. قبل زواجها كانت عانساً تعيش على دخل محدود.

وابتسمت كاتي ولم يظهر عليها التأثر وتابعت:

ـ سيلا سعيدة لأنها تعيش مع ماريوس، ولا تنوي أن تترك. وعندما تدفعه لطلب يدها لن تهتم لو هربت مع غوريللا! ولكن وحتى تتأكد من وضعها تنوي أن تبقيني مقيدة بها. فطالما بقيت دون زواج وأعيش في منزل عمي، سيبقى المنزل لها أيضاً. ستشاهدين سيلا بنفسك، فسأعود إلى المنزل عند نهاية الأسبوع.

وسمعتا صوتاً أجشاً يقول عن الباب «في وقت أبكر من نهاية الأسبوع» والتفتت فيليبا لترى الرجل الذي كانت تحاول تجنبه. وقفزت واقفة بحيث ان الكرسي كاد أن يقع، لو لم يسارع إلى التقاطه. ولكنه لم يعرها اهتماماً سوى نظرة سريعة باتجاهها، وركز اهتمامه بابنة أخيه وتابع القول:

ـ لهذا عدت لرؤيتك، لقد شاهدت الطبيب وقال إننا نستطيع اصطحابك إلى المنزل غداً، طالما استمر علاجك الفيزيائي كل يوم.

ـ هل أنت متأكد أنني أستطيع تدبير هذا بنفسي؟ فكل شيء أسهل هنا. فالممرضات يعرفن ما أحتاج إليه و...

ـ سيكون معك ممرضة في المنزل. والكرسي المتحرك يتناسب مع المصعد، إذاً لن يكون هناك مشكلة في الوصول إلى غرفة نومك.

وراقبته فيليبا، وهي تعرف أن اللهجة القاسية إنما هي قناع لمشاعره الحقيقية، إذ لم يكن هناك شك بالطريقة الحميمة التي يربت بها على ذراع ابنة أخيه. في تلك اللحظات كان أشبه بدب كبير أكثر من أسد، ولم ترد أن تقف في الطريق، فالتقطت معطفها وتوجهت نحو الباب. ولكنه استوقفها ولم يكن في صوته قساوة بل نوع من الأمر.

- انتظري... سأوصلك إلى المنزل.

- لست ذاهبة إلى المنزل.

- ولو... أريد التحدث معك.

وكرهت أن تتحداه علناً، ومع ذلك ترددت في أن تفعل كما أمرها، وبقيت منتظرة قرب الباب بينما كان يقوم بالترتيبات لإخراج كاتي من المستشفى في اليوم التالي. وقالت له كاتي وقد عادت لها فظاظتها:

- لا لزوم لتضييع وقتك الثمين لاصطحابي، ارسل لي السائق فقط.

- ما أصرفه من وقت عليك لا يضيع. فتدربي على السيطرة على أعصابي معك يفيد روحي!

وانطلقت ضحكة من فيليبا حولتها سريعاً إلى سعال، فآخر شيء كانت ترغب فيه أن تظن كاتي أنها تقف في صف عمها. وراقبت طريقته في التعاطي مع الفتاة، فهل كان يتصرف دوماً بهذه الطريقة المنضبطة نحو ابنة أخيه أم أنه يشعر أيضاً بالذنب لما حدث لها؟

- سآتي في الصباح لمرافقتك. لقد اشتريت لك كرسياً متحركاً خاصاً، وسيأتي شخص ما ليريك إياها ويعلمك على استخدامها.

- ما هو الخاص بهذه الكرسي؟

- لها مولد خاص وعدة أدوات صغيرة. لقد أحضرتها لك من أميركا.

- إنها أرخص من عقد ماسي بالنسبة لك، أليست هذه هي الطريقة التي تشتري بها النساء في حياتك؟

وصمت لبرهة، وظهر على بشرته الاحمرار، وقال:

- اعتبري نفسك محظوظة لانك لست واحدة من نسائي. وإلا جعلتك آسفة على مثل هذه الملاحظة.

واصبح لون كاتي بمثل لونه، وراقبتها فيليبا معاً وصدمت من التشابه في الروحية بينهما، ومع ذلك فالرجل دائماً الغالب في أية معركة. فقد كان قوياً وآمراً بحيث لا يستطيع أحد أن يقف في وجهه، واقلهم امرأة. وقطعت فيليبا الصمت:

- أحدهم اخبرني مرة عن لعبة اسمها «العائلات السعيدة» ويمراقبتي لكما تذكرتها!

وأطلقت كاتي ضحكة:

- نحن عائلة سعيدة، اليس كذلك يا ماريوس؟ نبدو وكأننا نكره بعضنا! الا تظن أن علاقتنا ستكون قصة جيدة لقرائك؟ العم الشرير يسيطر على حياة ابنة أخيه العاجزة!

- يوماً ما ستصبحين قادرة على السيطرة على حياتك الخاصة.

- كيف اعيش حياتي على كرسي متحرك؟

- ستسيرين، ولكن في الوقت الحاضر...

- في الوقت الحاضر سأموت من الضجر.

- في الوقت الحاضر ستزين الن مرة في الاسبوع.

وغرقت كاتي بالصمت. وحدقت بعمها لعدة لحظات، وعندما رأت من تعبيراته أنه لا يمزح، مالت الى الامام وقالت:

- هل حقيقة ستسمح لي برؤية الن؟

- نعم، طالما كانت الانسة روجرز معكما كل مرة.

- وما دخل فيليبا بالامر؟

- أريد أن تكون حاضرة عندما تقابلينه، هذا شرطي الوحيد.

- إنها فكرة مجنونة! لماذا لا اقابله لوحدي؟

- لا ارغب في مناقشة الامر أكثر. لقد قلت لك شروطي، اقبليها أو ارفضيها.

ـ أنا كبيرة كفاية لأفعل ما أريد، ولا أريد معاملتي كغبية.

ـ أنت عاجزة، وتعتمدين علي بالكامل، وانصحك أن تتذكري هذا.

ـ كم أنت مليء بالكراهية لتقول هذا!

وانفجرت كاتي بالنحيب، وبحركة تدل على الدهشة ابتعد ماريوس ليون عن السرير. ولدقيقة كاملة بقي صامتاً، يراقب ابنة أخيه، ثم توجه الى الباب وهو يتنهد، وقال بهدوء لفيليبا:

ـ سانتظرك في الممر. ساتركك لتدخلي بعض العقل الى رأسها.

واغلق الباب وراءه، وركضت فيليبا فوراً الى السرير، ونظرت الى كاتي عن قرب، وقد شعرت انها اصغر منها بأكثر من ثلاث سنوات. وقالت اخيراً بعد أن لم يظهر على كاتي علامة السيطرة على نفسها:

ـ توقفي عن البكاء، لقد كنت غبية جداً. لو كان لك عقل يفكر لبكيت فرحاً.

ـ وعلى ماذا افرح؟

ـ لأن عمك سمح لك برؤية الن. الا تدركين انها الخطوة الأولى للعد العكسي؟

ـ هذا ما تظنين. لقد سمح لي برؤيته لأنه يعرف بأنني سأتمارض إذا لم يفعل.

ـ هذا ليس صحيحاً.

ـ لماذا يصر إذا على وجودك معنا؟

ـ لأنه ليس من النوع الذي يستسلم بسهولة. يجب أن يقوم بذلك خطوة خطوة. اتعلمين، لقد اسأت الحكم عليه. فلو استطعت اقناعه انك والن تحبان بعضكما حقيقة، سيسمح لك بالزواج، عندما تشفين. إنه يريد وجودي معكما فقط للتأكد من أنك لن تقومي بعمل طائش طالما انت عاجزة.

ـ إذاً ستكونين كلب الحراسة لي.

ـ على الاقل أنا أليفة لا اعض.

ولاحظت فيليبا تغيراً مشعاً في مزاج كاتي حيث انفجرت بالضحك.

ـ ماريوس المحب يسمح لي برؤية الن. انا متأكدة أن الامر من تدبيرك. هل جعلته يدرك كم كان مخطئاً؟

ـ عمك لا يعتقد أنه مخطىء. يرغب فقط أن يعترف بانه لم يكن محقاً على الدوام!

ـ هذا وصف جيد استطيع فهمه. هل تعتقدين انني استطيع الاتصال بالن لابلغه الخبر، أم أن مكالماتي لا تزال مراقبة!.

ـ مراقبة؟

ـ لا تندهشي، المسموح لي الاتصال فقط بالاشخاص الذين يوافق عليهم ماريوس.

ـ لنرى إذا كنت تستطيعين الحصول على مكالمة معه.

والتقطت كاتي الهاتف واعطت رقم الن. ووعدها موظف الهاتف أن يطلب لها الرقم، ووضعت السماعة ونظرت الى فيليبا نظرة ساخرة. ومرت دقيقة، ثم أخرى. وتنهدت كاتي، ورن جرس الهاتف والتقطت السماعة وعلت وجهها الابتسامة عندما سمعت الصوت من الطرف الأخر.

ـ الن ـ حبيبي، هذا أنا ـ كاتي. لقد حدث شيء رائع، ماريوس سيسمح لي برؤيتك! نستطيع أن نكون معاً، ولكن...

وخرجت فيليبا، لا تريد أن تسمع المزيد، وعندما وصلت الى المصعد شعرت بمن يحدق بها، والتفتت لترى ماريوس ليون يتقدم نحوها، قائلاً وقد أحس بدهشتها:

ـ قلت لك سانتظرك.

ـ لماذا؟ لقد حصلت على ما تريد.

احصل دائماً على ما اريد. لقد حذرتك من هذا. اتقولين لي اين انت ذاهبة، ساوصلك الى هناك.

ـ الى منزلي.

ـ كنت أظن انك ستبقين في الخارج.
ـ لقد كذبت. قلت أول شيء تبادر الى ذهني.
ـ أنت صادقة على الاقل.
ـ أحاول دائماً أن اكون صادقة.
ـ سأتذكر ذلك.

وفتح لها الباب، وجلست في المقعد الامامي، وراقبته وهو يستدير ليجلس في مقعد السائق. وكان معه سيارة أخرى هذه الليلة: صغيرة سوداء، لها محرك قوي، اصدر صوتاً قوياً عند دورانه. وعلقت على ذلك بينما كانت السيارة تشق طريقها وسط الزحام.

ـ إننا كمن يركب نمراً.
ـ أحب السيارة القوية.
ـ لم اشاهد مثلها من قبل.
ـ إنها من ظراز بورش مصنوعة يدوياً. هل الاحظ اشارة عدم موافقة على وجهك.
ـ أبداً، إذا كنت تحب اضاعة ما لك على لعب مثل هذه...

وضحك بصوت عميق مليء بالمرح.

ـ أنا اتمتع بكلامك معي.. آنسة روجرز، انت تقولين دائماً شيئاً غير متوقع.
ـ وغير مرغوب فيه.
ـ وهذا ايضاً. ولكنه يثير الاهتمام على الاقل. من المضجر ان تعرف دوماً ما سيقوله الآخرون، فهذا يحدث دائماً في حياتي.
ـ ربما يكلفك ذلك غالياً.
ـ عذراً؟ لم افهم.
ـ العقود الماسية.
ـ لا تصدقي كل شيء تقوله كاتي عني.
ـ لست بحاجة لسماع اقوال كاتي. فهناك كوم من الملفات عنك في المكتبة.

ـ هل تشير هذه الملفات الى العقود الماسية؟
ـ تشير فقط الى اسماء صديقاتك السابقات.
ـ هل تحاولين احراجي.. آنسة روجرز؟
ـ انا لا أحاول اي شيء محكوم عليه بالفشل.

وضحك مرة أخرى.

ـ لنتحدث عنك. هل يستحق ما ضيك التحدث عنه؟
ـ اشك في ذلك انه ماضٍ حميد جداً.
ـ فتاة وحيدة بين شقيقين. والدين محبين منحاك تعليماً ممتازاً ويملكان الذكاء الكافي ليتركانك تشقين حياتك بنفسك.
ـ هل هذا تخمين.
ـ تخمين كلفني خمسين جنيهاً. إنه اجرة لعميل تحقيقات جيد.
ـ ماذا؟
ـ انه مكتب تحريات. لقد فكرت أنه أفضل من جعل واحد من المحررين يبحث عن ما ضيك. فأنا افضل ابقاء شؤوني الخاصة بعيداً عن العمل.
ـ لم اعلم ابداً بأنني من شؤونك الخاصة.
ـ انت متورطة مع ابنة أخي. ومن المهم ان اتحرى عنك.
ـ اظن انني اجتزت الامتحان الان؟
ـ باعلام مرفرفة.

وشعرت برغبة عارمة للالتفات وصفعه، ولكن منظر جسمه الضخم جعلها تدرك خطورة هذا العمل. هذا ما شعر به داوود عندما واجه جوليات. ومع ذلك فقد هزم داوود العملاق... وتنهدت، وتساءلت عن ما هو البديل الحديث للقوس والسهام.

ـ لم يكن معك حق لتبلغ كاتي انني وافقت على لعب دور الوصيفة. لم اقرر بعد أن اقبل.
ـ لهذا اتخذت القرار عنك!

والتقطت انفاسها وقالت:

ـ انت أكثر رجل بغيض عرفته!

ـ أوافق معك آنسة روجرز، ولكنني مهتم أكثر بشؤون كاتي أكثر من اهتمامي برأيك.

ـ أنا مهتمة بشؤونها أيضاً.

ـ إذاً كنت ستوافقين في النهاية على ما طلبته منك.

ـ نعم.. ولكن..

ـ انسي ولكن هذه، واتركي الامر عند كلمة «نعم»، قولي لي اين تسكنين؟

ونظرت عبر النافذة ودهشت لوصوله الى قرب منزلها.

ـ لقد سرت في الوجهة الصحيحة.

ـ عنوانك كان في تقرير التحري. انت تسكنين بالقرب من هنا.

ـ على زاوية المنعطف التالي.

وبقيت ساكنة بينما كان يقود السيارة نحو المنعطف وفتح الباب لها ورافقها الى الداخل.

ـ لدينا نحن الاثنين مسؤولية اخلاقية نحو كاتي. اشعر بالذنب نحوها مثلك تماماً.

ـ اتمنى أن تتركني أتعامل مع ذنبي بطريقتي الخاصة.

ـ ليس طالما أنا محتاج لمساعدتك.

ـ سأفعل ما استطيع لأجلها، سيد ليون، ولكن لن ادعك تستأسد عليّ!

ـ إذاً كفي عن مقاومتي وافعلي ما اقوله. فأمام كاتي معركة طويلة إذا كانت ستمشي مرة أخرى. ولو كنت واثقاً أن الن هو الرجل المناسب لها...

ـ كيف استطيع ان اساعدك لتعرف؟

ـ أنا احترم حكمك.

ـ لم تحترمه عندما قلت لكاتي أن تهرب.

ـ دعينا لا نتكلم عن الماضي. فاهتمامي هو في المستقبل. كوني فقط في المنزل كل اسبوع عندما يكون الن هناك. وفي نهاية ثلاثة اشهر نستطيع أن نسترشد بمعلوماتنا لنعرف ماذا توصلنا اليه.

ـ ساكون ملعونة إذا تجسست لحسابك.

ـ ستندمين إذا لم تفعلي.

ـ اتهددني!

ـ نعم اهددك، إذا لم تفعلي ما اقوله لك، سأجعلهم يطردونك من عملك. وساعمل على عدم حصولك على اية وظيفة في شارع فليت!

ـ لن تجرؤ على هذا!

وحدقت به بغضب، وماتت قناعتها عندما رأت التعبيرات في عينيه.

آه.. نعم.. يستطيع ذلك، وسوف يفعل بالتأكيد.

ـ سيد ليون، أنا لست ابغضك فقط بل احتقرك.

ولاحقتها ضحكته القاسية بينما كانت تستدير على اعقابها لتدخل الردهة. وعندما استدارت لتصعد الى المصعد رأته لا يزال واقفاً عند المدخل، كطيف طويل اسود، ولكنه على عكس الطيف، كانت تعرف انه لن يختفي من حياتها عندما يقبل ضوء النهار.

٨ ـ جاسوسة الأسد

مر اسبوع منذ أن قابلت فيليبا ماريوس ليون، لم تذهب خلاله لرؤية كاتي. فقد كان التأكيد المتعجرف للرجل بأنه قادر على أمرها بأن تفعل ما يريد، قد ترك نفسها مليئة بالغضب، وتمنت لو تملك الشجاعة لتقف في وجه خدعته. فمن المؤكد انه لن يجرؤ على العمل لطردها من وظيفتها، ولا أن يحاول أن يمنعها من الحصول على وظيفة اخرى. فلو فعل، فسيخاطر بأن تشتكيه لاتحاد الصحافيين، وقد ينتج عن ذلك إضراب ضمن موظفيه. ولكن ليتم هذا يجب عليها أن تبرهن أنه متورط، وقد يكون هذا صعباً، إذا لم يكن مستحيلاً. فبضعة كلمات مختارة في الاذن الملائمة، وستزول اعماله دون ان تترك أثراً، ودون ترك أي دليل امامها لاستخدامه ضده.

ومع ذلك فليس التهديد باجبارها على ترك شارع «فليت» هو الذي جلبها الى منزله الريفي الفاخر، ولكن ما جلبها كان مكالمة من كاتي تطلب منها وهي باكية أن تأتي لرؤيتها. وقالت لها متوسلة:

ـ الن يريد أن يأتي، ولكن ماريوس يصر على وجودك، أرجوك أن تأتي يا فيليبا، فأنا في حالة مزرية.

وعلمت فيليبا أنها غلبت على أمرها، فذهبت. وفاجأها منزل ماريوس ليون، كان في نهاية صف من المنازل الكبيرة ذات الشرفات الواسعة، الى جانب ساحة هادئة تشرف عليها احدى السفارات. وكان

منظره الخارجي باحجاره البيضاء يوحي بالتحفظ كما نوافذه الضيقة، ولا يعطي أي دليل عن جماله الداخلي: الثريات المشعة تلمع على الارضية الرخامية المغطاة بسجاد عجمي، والستائر الحريرية والمخملية تخرس ضجيج السير، والمقاعد المغطاة بالقماش تدعو المرء ليجلس ويسترخي. وادهشها الجو المليء بالراحة أكثر من أي شيء، لأنها لم تكن تعتبر أن ملكاً للصحافة قد يكون رجلاً يحب الهدوء. وسألت كاتي وهي غير قادرة على اخفاء فضولها:

ـ هل عاش عمك هنا منذ فترة طويلة؟

ـ منذ أن استطعت أن اتذكر. انه مكان لطيف اليس كذلك؟ فذوق عمي جيد.

ـ اتعنين أنه فرشه بنفسه؟

ـ وهل ترين أنه تركه لغيره؟ اراهن على انه اختار ستائر المطبخ ايضاً.

ودون ان تنتظر الرد أدارت كاتي كرسيها المتحرك داخل غرفة الاستقبال. الأسبوع الذي امضته خارج المستشفى ساعدها على استعادة اللون إلى خديها. على الرغم من بقاء بعض التوتر الملحوظ في صوتها وحركاتها.

ـ سيصل آلن في أية لحظة. أتعلمين أنها المرة الأولى التي سأراه فيها منذ ستة أسابيع؟ أنا متوترة الأعصاب اشعر بذلك.

ـ تبدين رائعة. فأنت متألقة.

ـ إنه التزيّن، هل يعجبك؟

وهزّت فيليبا رأسها بالإيجاب، غير راغبة في الكذب. فالبودرة الأساسية والرموش المطلية بكثافة جعلت كاتي تبدو كطفلة صغيرة كانت تلعب في علب الدهان. ولكن الزينة جعلتها تبدو حزينة أيضاً، وأملت أن يلاحظ آلن ذلك أيضاً، بدلاً من ملاحظة منظر الفم المطلي بالأحمر بشكل زائد، والرموش التي دهنت «بالماسكارا» السوداء، مما يذكرها بمصاصي الدماء.

- سيأتي آلن راساً من عمله، وسيكون جائعاً.
- ألم يكن من الأفضل لو دعوته إلى الغذاء؟
- سيعود إلى عمله. إنه يعمل لوقت إضافي حتى يكسب المزيد من المال.

وسمعتا دقة على الباب تنذر بوصول آلن، وتحركت فيليبا نحو زاوية الغرفة وجعلت نفسها تبدو غير متطفلة قدر المستطاع، بينما كانت تراقب كاتي تصيح من الفرح وإيماءة آلن الدافئة بالحب عندما ركع على ركبتيه إلى جانب الكرسي المتحرك.

ومضت عدة دقائق قبل ان يلاحظ أي منهما أنها نصف مختبئة خلف احد الستائر، عندها تقدم آلن نحوها. وسلم عليها بيد قوية جلدها قاس وخشن.

- مرحباً فيل. انت اذن صانع المعجزات لنا؟ هل أنت المراقبة للوقت علينا ايضاً؟
- لو كنت كذلك، فلم يعلمني احد بالأمر.
- هذا جيد، لقد كنت خائفاً ان تحوليني إلى ضفدع إذا لم أغادر عند نهاية الساعة! وقالت كاتي وهي تصرّ أسنانها:
- من الأفضل أن تتحول إلى سيارة سباق حيث تستطيع ممارسة هوايتك في مكان ما.
- لقد وضعت حداً لكل هذا، فلن أذهب إلى حلبة السباق حتى تكوني برفقتي.
- قد يستغرق الأمر شهوراً، وربما أكثر.
- هراء! ليس في نيتي أن أترك زوجتي وحدها في المنزل طوال الوقت حتى ولو كانت على كرسي متحرك.
- ماذا... ماذا تعني؟
- أعني أنني سأتزوجك حالما يوافق عمك.
- لن يوافق طالما لا أستطيع السير.
- أنا لا أقترح أن نطلب منه غداً. كنت أفكر بوقت قد يستغرق

بضعة أشهر. بعد أن يدرك أن أسرع طريقة لاسترداد صحتك كاملة ان يسمح لك بالزواج مني.
- هل تعتقد فعلاً أنه قد يفعل؟
- أنا متأكد بالطبع. لهذا فقط انهار ووافق على السماح لي بالقدوم هنا. إنه يعتني بك أفضل مما أستطيع أنا.
- سأكون سعيدة في غرفتين طالما أشاطرك فيهما.
- أنا أريد أكثر من غرفتين لك. فأنت فتاتي المميزة وأريد أن أعطيك كل العالم.

وشعرت فيليبا أنها متطفلة أكثر من أي وقت في حياتها، فانسحبت من الغرفة. لقد أصرّ ماريوس ليون على وجودها في المنزل كلما تقابلا، ولكنه لم يشترط أن تبقى معهما، ونوت أن تستفيد من هذه الثغرة بالكامل. ومر الوقت بطيئاً وهي جالسة في الردهة، وكانت تعلم أن هناك غرفاً أخرى تستطيع الجلوس فيها، ولكنها لم ترغب في أن تتجول في المنزل. وسارت نحو باب المدخل ونظرت عبر إحدى النوافذ الضيّقة. كان الظلام قد حل في الخارج. وشعرت فجأة أنها لم تكن لوحدها. فقد انتشرت رائحة عطر ناعمة، والتفتت لترى أن امرأة تراقبها. ودون أن يخبرها أحد عرفت فيليبا أن المرأة هي سيلا ليون. ولم تكن المرأة على نفس الصورة التي تخيلتها. لقد كانت شقراء جداً وكأنما شعرها فضيّ تقريباً. وأعطاها شعرها الجميل المنظر وقاراً لوجهها المربع القسمات ولفمها المليء الصغير والأنف القصير الذي كان غليظاً بعض الشيء. أفضل قسماتها كانت العينين الكبيرتين الصافيتين بلونهما الرمادي الفاتح حتى تخالهما مرآتين قادرتين على عكس الألوان من حولهما. وهما الآن تعكسان لون الثوب الأخضر الذي ترتديه فيليبا. وقالت المرأة:
- أنت فيليبا.
- وأنت زوجة أب كاتي.
- نعم. ولكن لماذا أنت في الردهة؟ ظننت أنني سمعت آلن عندما وصل؟

ـ إنه في غرفة الاستقبال مع كاتي. لم ار اي ضرر في تركهما وحدهما لفترة قليلة.

وهزّت المرأة كتفيها واستدارت لتفتح باب غرفة جلوس صغيرة

ـ ستجدين أنها أكثر راحة من الانتظار هنا.

ـ إنها غرفة رائعة.

ـ إنها المفضلة لدى شقيق زوجي. فهو يدخلها دائماً ليستريح عندما يكون يومه متعباً.

وأشارت إلى فيليبا بالجلوس ووقفت أمامها بتعبير فضولي.

ـ أنت أكبر عمراً مما ظننت آنسة روجرز. لقد أعطاني ماريوس انطباعاً بأنك من عمر كاتي. لقد قال إنك طفلة.

ـ أنا في الواحدة والعشرين. وهذا ليس عمر طفلة في هذه الأيام.

ـ هذا يتوقف على شخصية الإنسان كما أعتقد. فكاتي ستبقى طفلة مهما كبرت.

ولعدم رغبتها في التعليق، لم تقل فيليبا شيئاً، وتوجهت سيلا ليون نحو كرسي. لقد كانت بنفس طول فيليبا ولكنها أرق جسماً، ولها ساقين وذراعين نحيلين على الرغم من كبر يديها وضعفهما فقد كانتا أقبح قسماتها. وعندما جلست خبأتهما تحت ثوبها الرمادي.

ـ أعتقد أنك كنت تعملين لدى شقيق زوجي.

ـ نعم ولكن المرة الوحيدة التي شاهدته فيها كانت يوم طردني!

وضحكت سيلا ليون، وكان هذا أول عمل مميز لها جعلها تبدو جميلة وأجابت:

ـ إنه من النوع المنطوي. في الحقيقة لأنه خجول. الرجال الكبار عادة خجولين.

ـ من الأفضل أن أعود إلى كاتي.

ـ ليس من داعي للعجلة. ابقي معي وأخبريني عن رأيك بابنة زوجي.

ولم تتوقع أن تطلب منها التحدث عن شخص تعتبره صديق. فأجابت بفتور:

ـ إنني أحبها كثيراً.

ـ أنت لا تعرفينها كما أعرفها أنا، إنها تستطيع أن تزيد من محاولاتها.

ـ لا زالت بعيدة عن أن تكون بصحة جيدة.

ـ لقد كانت دوماً صعبة المراس، وهذا ليس بعجيب عندما يعلم المرء كيفية تربيتها. فوالديها كانا غير مهتمين بها.

ـ أظن أنه كان صعباً عليك أن تتولى أمر ابنة زوجك بعد زواجك بوقت قصير.

ـ لم يكن الأمر سهلاً. ولكن ماريوس كان رائعاً. لقد كنت أنا وكاتي معدمتين دون قرش واحد ما عدا تقاعد صغير.

ـ قريبك هو الفقر.

ـ بل كان قريبي هو الغني. ماريوس سخي جداً معنا. من الرائع ان يجد الإنسان شخصاً له هذا الحس القوي بالعائلة.

ـ إنه حس أقوى من المطلوب، كما أعتقد.

ـ لأنه لا يريد كاتي أن تتزوج آلن؟ يا عزيزتي أنا موافقة معه.

ـ أنا أعلم أن آلن فقير، ولكن....

ـ وكاتي صغيرة جداً. هذا هو السبب الرئيسي. وأرجوك لا تقولي إنها في الثامنة عشرة. ففي مجال الخبرة ليست أكثر من طفلة.

ـ قد تكوني محقة بأن كاتي صغيرة بالنسبة لعمرها. ولكن على الأقل وافق السيد ليون أن ترى آلن، ربما سيعطيكما هذا فرصة لمراجعة رأيكما به.

ـ نحن نأمل أن تراجع كاتي رأيها به.

وفجأة شع الضوء في الغرفة، وشاهدت شكل الرجل الكبير الذي وقف على العتبة. كم من الموهبة يملك ماريوس ليون ليصل في الوقت الذي لا يتوقعه أحد، وراقبته وهو يدخل، لقد ملأ الغرفة بحجمه،

ومع ذلك فهو يتحرك بخفة الفهد. ولكنه فهد متعب هذه الليلة: منظره كمن خاض معركة قاسية استنزفت قواه.

وجلس بثقله على أحد المقاعد ودون أية كلمة ذهبت سيلا إلى خزانة خشبية وصبت له كأس شراب، وأعطته إياها فشربها حتى الثمالة. ثم أراح رأسه على المقعد، وأغلق عيناه، وجسده مرتاح كلياً.

وأخذت سيلا الكأس من يده ووضعتها على المنضدة وعادت إلى مقعدها بصمت. وأبقت عيناها مركزتين على وجهه ولكنه بدا أنه غير مدرك بأنه مراقب. وغير مهتم أيضاً لأنه كان متأكد من أهمية نفسه. واعترفت لنفسها أنه لا يبدو الآن ذو أهمية، بل هو رجل متعب وقد جفت حيويته. ما عدا شعره فقد كان يشع بحياة خاصة به. يفور من جبهته كنبع فضي رمادي. وفتح عيناه فجأة مما جعلها تجفل ونظر مباشرة إلى عينيها. ولكنه لم يتكلم ورفع كتفيه وهو يتمطى قائلاً وصوته عاد إلى حيويته.

ـ هكذا أفضل.

وقالت سيلا:

ـ لست أدري كيف تفعل هذا، سمعت عن الغفوات السريعة، ولكن غفوتك سخيفة. دقيقتين من الإغفاء وتعود إلى حيويتك!

ـ لديّ معدن فريد من نوعه.

ـ من الأفضل أن لا يعرف أعداؤك هذا السر.

ـ أعدائي لا يستطيعون إيذائي الآن.

ولم تتمالك فيليبا نفسها عن السؤال.

ـ هل يستطيع أحد أن يشعر بهكذا أمان؟

ونظر إليها بدهشة خفيفة، وصمت دقيقة قبل أن يجيب.

ـ الأمان من الأعداء، نعم، فقد وصلت إلى درجة من النجاح يجعل من المستحيل على أعدائي أن يلمسوني. ولكن هناك آخرون لا يأمن المرء جانبهم.

ـ آخرون؟

ـ أشخاص تحبهم.

وغير الموضوع في الحال وسأل أرملة أخيه عن مكان وجود كاتي:

ـ إنها مع آلن في غرفة الاستقبال.

وكأنما أصابته لوثة جلس مستقيماً وحدق بفيليبا قائلاً:

ـ أظن أنني قلت لك أن لا تتركيهما وحدهما!

ـ أنا لست سجانة لهما. وآلن لن يسرق كاتي، هو فقط يريد الزواج منها!

ـ فوق جثتي!

ـ إذاً لماذا سمحت لهما باللقاء؟ ظننت أنك قد أصبحت منفتحاً بالنسبة له؟

ـ أنا منفتح الذهن جيداً. وذهنك هو المنغلق! ولو لم يكن كذلك لكنت رأيت أي صنف من الرجال هو. أملي الوحيد كان أن يكون في كاتي حس آل ليون لكي تستيقظ قبل فوات الأوان!

وبدا عليه وكأنه حيوان يسيطر عليه سوط غليظ. وارتجفت. فبعيد عن متناول يدها أن تجعل ذلك السوط يلعلع.

ـ كم مضى عليه من الوقت هنا؟

ـ حوالى الساعة، لم تشترط المدة التي يجب عليه البقاء فيها.

ـ ولم أعن كذلك زيارة تستغرق أربعاً وعشرين ساعة! ادخلي وأنهي الأمر.

وخرجت تحت ضغط لهجته الثائرة. كم تتمنى لو أن كاتي لم تأتِ إليها منذ ستة أسابيع، أو لو أنها لم تعطها تلك النصيحة. كما كانت حياتها سعيدة قبل أن تدخلها عائلة ليون.

وقرعت باب غرفة الاستقبال، وأدارت القفل ببطء، معطية آلن فرصة ليبتعد عن كاتي، ولكن عندما دخلت وجدته منحنياً على الكرسي المتحرك وذراعيه حول كتف كاتي، ودون أن يشعر بالإحراج نظر إليها.

لقد بدا بكل تأكيد على عكس الفتاة المقعدة إلى جانبه، وقادر على السيطرة عليها. وسألها:

- هل انتهى وقتي؟

- لا يجب عليك أن تدخل وتخرج حبيب الساعة. ولأنك ترى كاتي مرة في الأسبوع فليس عليك أن تهرع بالخروج.

وقاطعتها كاتي متذمرة.

- لا أفهم لماذا مرة في الأسبوع؟ إذا كان ماريوس سيسمح لآلن برؤيتي، فلماذا لا يكون صريحاً ويسمح لنا باللقاء في أي وقت شئنا؟

- من الأفضل التحدث بهذا مع عمك.

- لن يقبل بالتحدث حول الأمر، عندما يصمم على شيء لا تستطيعين معارضته.

وقال لها آلن:

- لا تحاولي معارضته، اعتبرها أعجوبة لأنه سمح لي برؤيتك.

- كنت سأكون زوجتك لولا الحادث. وعندما أفكر بالأمر..

وبدت وكأنها ستلجأ للبكاء، ومال آلن عليها وقبلها على خدها.

- لا يزال أمامنا المستقبل، وأنا أعدك بهذا.

وسحب يده من بين يديها المرتجفتين واتجه نحو الباب، فقالت:

- كنت أتمنى لو أنك لم تشتغل أوقاتاً إضافية.

- سوف نحتاج إلى مال إضافي عندما...

وتوقف، دون أن يحاول إخفاء ما يعنيه. وعبرت الردهة معه نحو مدخل المنزل. وأخبرته عن ظنونها. ورد عليها بجواب حاد:

- كاتي لن تبقى في الكرسي المتحرك مدى الحياة، ولا لمدة سنتين حتى. عمها يحاول إخافتك فقط.

- ولماذا يخيفني؟

- ربما يكون من الأنسب القول إنه يحاول إخافتي أنا. إنه يأمل أن أخاف وأهرب، ويأمل بأنني قد لا أرغب كاتي إذا لم تكن تمشي.

- هل ترغب فيها فعلاً؟ أنت لا زلت شاباً صغيراً: فما هي الحياة التي ستعيشها متزوجاً من فتاة لا تستطيع الحراك؟

- لا تتكلمي هكذا.

- أحاول فقط أن أجعلك ترى الوقائع.

- الأوهام تعنين. إذا قال السيد ليون شيئاً فلا يعني حقاً أنه واقع. تذكري هذا، قبل، قبل أن تبدأي بنقل كلامه لي، أم لا تمانعين في أن يغسل لك دماغك؟

- لن يغسل أحد لي دماغي.

- إذاً أغلقي أذنيك عندما يبدأ الكلام! سأراك الأسبوع القادم، إلا إذا أقنعت الديكتاتور الكبير أن يسمح لي بالقدوم قبل الموعد. ربما لو اقنعته بأن زيارتي مفيدة لكاتي...

- سأفعل، لو ظننت أن زيارتك مفيدة.

وانطلق بالموتوسيكل مودعاً.

وسألت نفسها بينما كانت تغلق الباب وتميل بظهرها إليه. ما هو أفضل شيء تستطيع فعله لسعادة كاتي ومستقبلها! من الجانب الإيجابي كانت متأكدة أن مقابلات كاتي مع آلن قد تساعد في علاجها الفيزيائي، ولكنها كانت خائفة أيضاً من أن يجعلها القرب منه أثناء تحسنها الفيزيائي دائمة القلق، ومع ذلك فهذه مخاطرة يجب أن تأخذ طريقها. فعلى الرغم من أن كاتي لا تستطيع السير، فإنها قادرة على المضي في حياتها الطبيعية. وعلى الرغم مما قاله آلن فإنه لا يزال غير مدرك للمشاكل التي قد يتورط بها من زواجه من مقعدة. وقد يكون للمال فائدة بالطبع. وإذا كان السيد ليون كريماً فإن العديد من مشاكل كاتي من الممكن تجاوزها. هل هذا ما يأمل به آلن؟ وتنهدت، فمستقبلها كله تسيطر عليه التوقعات لحياة كاتي، وشخصية ماريوس ليون الطاغية. لقد حان الوقت لكي تتوقف عن التفكير بهم لتتدبر أمر حياتها الخاصة. فلن تسمح لرجل متغطرس أن يغذي عقدة الذنب لديها، وأن يستغلها، إما كسوط له أو كجاسوسة.

٩. حب بلا أمل

تلاشى أمل فيليبا بأن تودع كاتي وتغادر المنزل عندما علمت أنها مدعوّة للعشاء، فسألت كاتي:

- كيف علمت أنني لست مرتبطة بموعد؟

- لقد خاطرت بذلك - من هو؟

- من. . من؟

- من. . . أنت متواعدة معه.

- لم أقل أبداً أن لدي موعد، لقد كنت أتساءل فقط فيما لو كان عندي. .

- أوه، لقد ظننت أنه قد يكون لك صديق لينتظرك في مكان ما.

- أنا خالية من الحب تماماً، وليس لدي رغبة في تغيير هذا الوضع.

- ألا تحبين أن تتزوجي؟

- إذا، أو متى وقعت في الحب.

- هل وقعت في الحب من قبل؟

- ليس بشكل جدي.

- هل كان لك علاقات كثيرة؟

- المئات. .

قالت ذلك ساخرة، ثم هزت رأسها فوراً بالنفي عندما شاهدت أن كاتي كانت تنظر اليها بجدية كبيرة فأضافت:

- بالطبع لا. ماذا جعلك تظنين بأنه كان لي علاقات؟

- لأن معظم الصحفيين يبدون متحررين، وما يكتبونه. . . انه. . .

- الصحافيون يكتبون عن الناس الآخرين، ونادراً ما يكتبون عن أنفسهم. فمعظمنا يعمل بمشقة بحيث لا يقدر على القيام بما تتخيلينه؟ توقفي الآن عن هذا ولنتكلم عن أشياء أخرى.

وهكذا فعلت كاتي وللساعة التالية تبادلتا الحديث حول مواضيع مختلفة. ولدهشة فيليبا كانت الفتاة ذات اطلاع جيد، ومعرفة جيدة جداً بالشؤون الجارية اجتماعية وسياسية، ولم يكن من الصعب التخيل أن معلوماتها هذه انما نبعت من عمها. وقالت كاتي ضاحكة:

- لو تشاهدينا عندما نتحدث بالسياسة، توشك الجدران عندها أن تسقط!

- هل جدالكما دائماً صاخب؟

- نحن لا نتجادل في السياسة، بل نختلف، وبصوت عال.

- أنا مندهشة من أن عمك يتناقش معك هكذا.

- إنه يحب أن يدفع الناس لتغيير آرائهم. وهذا سبب نجاح جريدته، فهم يتخذون فيها مواقف يؤمنون بها دائماً.

- يؤمن بها هو، تعنين.

- وما الخطأ في هذا؟ فهو يملك الجريدة، ويريد أن يقول فيها ما يريده هو.

- بعض الناس يعتقدون أن الجريدة يجب أن تكتب الوقائع فقط.

- نادراً ما تكون الوقائع غير مبنية بطريقة أو أخرى، ولا تدعي أية جريدة من جرائد عمي بأنها واقعية تماماً، فهم ملتزمون بسياسة ما، وملتصقون بها.

وبقيت فيليبا صامتة بدبلوماسية. انها المرة الأولى التي تسمع كاتي تدافع عن عمها، مما جعلها تدرك مدى التشابه بين الرجل والفتاة في الميول. وكان من السهل عليها أن تقدر لماذا أراد ماريوس ليون أن يرسلها الى الجامعة. فستتلقى هناك التدريب والعلم الكافيين لجعلها في

موقف جيد عندما تقع أعباء سلطته في النهاية على أكتافها. واستوت فيليبا في جلستها وصرفت هذه الأفكار عن ذهنها، فماريوس ليون ما يزال صغيراً بما فيه الكفاية للزواج وانجاب أطفال يرثونه وليس هناك من سبب للظن بأنه سيترك كل شيء لابنة أخيه. والتفتت الى كاتي محاولة تغيير الموضوع.

- لقد التقيت زوجة أبيك، لقد بدت فاتنة لي.

- انها تشبه كأس من اللبن الرائب. فهي تبدو كالكريما، وعند المذاق تلسعك بحدة!.

- لا أعرفها بما فيه الكفاية لأعطي عنها رأياً.

- تعنين أنك لا تريدين اعطاء رأي عنها. هل ترين أنها تصلح زوجة لعمي؟

- لا أرى أية امرأة تصلح له. وقد لا يكون هذا رأياً صائباً.

- لا أجد سبباً لرأيك هذا. فعندما يؤمن بأن هناك من يحبه لما هو عليه لا من أجل ما يستطيع أن يمنحه اياه، فسيكون زوجاً مثالياً.

- انتبهي لما تقوليه، أو ساظن انك معجبة به!

- لقد أحببته الى أن بدأ بوضع القوانين حول آلن. فلم اؤمن بأنه مصمم هكذا على فرض آرائه.

- وأنت أيضاً تصممين على آرائك.

- فقط بالنسبة لحياتي، لا لحياة الآخرين!

وكانت حجتها سليمة. وأقرت فيليبا بصحتها. فكلما تحدثت مع كاتي أكثر، كلما اكتشفت أنها منطقية أكثر. وعندما تبعد بضعة سنوات من الخبرة سذاجتها ستصبح أحد المشاهير الصغار بطريقتها الخاصة! وقالت كاتي فجأة:

- لنذهب الى غرفتي ونستعد للعشاء.

ودون انتظار الجواب حركت كرسيها نحو المصعد الصغير في الردهة وعندما وصلتا الى الطابق الثالث قالت كاتي:

- أتشارك مع سيلا في هذا الطابق، وعمي له الطابق العلوي، وفيه شرفة خاصة به وجدران زجاجية ترتفع عندما يضغط على زر!

- ولماذا الزجاج؟

- ليتخلص من الهواء البارد عندما يأخذ حماماً شمسياً وهو عار!

وتابعت كاتي، عندما بدأت فيليبا بتمشيط شعرها.

- تعجبني هذه الخصلة البيضاء في شعرك، انها تعطيك اشقراراً بلون الشمس.

وتابعت فيليبا تمشيط شعرها. وعلى الرغم من أنها أملت أن تتجنب ماريوس ليون عندما أتت الى هنا هذه الليلة، فقد كان عليها مع ذلك أن تهتم أكثر بمظهرها، وسرها أنها اختارت هذه «البلوزة» الخضراء تحت طقمها بحيث أنها عندما تخلع السترة، يسمح لونها الأخضر بأن يشع لون بشرتها الزهري. لقد كانت تضفي عليها أنثوية خاصة مع نعومة الشعر المشع المنسدل بكثافة على كتفيها والمتموج مثل المخمل البني كلما تحركت، وابتعدت عن المرآة وقد أكسبها مظهرها ثقة بنفسها، ووجدت كاتي تراقبها.

- لم ألاحظ أبداً كم أنت رائعة.

- يصيبني الارتياب عندما توجهين الاطراء لي، من الأفضل أن توفري مديحك لزوجة أبيك.

- سترحب بالاطراء، فهي تحب أن يقال لها كم هي رائعة. ولن تصدقني لأنها تعرف أنني لا أطيقها!

- هل نذهب الى تحت الآن؟

- ولم العجلة؟ أم أنك لا تحبين أن أنتقد زوجة أبي المحبوبة؟ عندما تعرفينها مثلما أعرفها أنا، سوف تبغضينها أيضاً. أحياناً أعتقد أنها تزوجت أبي فقط كي تتسلل الى حياة ماريوس.

- ألست تتحاملين عليها؟ على كل، عندما تزوجت أبيك لم يكن لديها فكرة أنه سيموت فجأة.

ـ لقد تزوجته وهي تنوي دفعه للعودة الى بريطانيا والعمل مع ماريوس، مما يجعلها داخل حياة عمي.

ـ كانت ستبقى زوجة أبيك، ولا أستطيع تصور أن عملك قد يفعل شيئاً... لا أنا متأكدة أنك مخطئة. على كل عمك يملك قرارة بنفسه، ولا يستطيع أحد أن يجبره على عمل ما لا يريده، فعنده شعور قوى لعائلته ولن يفعل أبداً أي شيء لأذية أبيك.

ـ أنا لم أقل ما قد يفعله ماريوس، انما فقط ما قد تفعله سيلا، على كل لقد جرت الأمور كما تشتهي تماماً، فقد مات أبي بعد أشهر من زواجها وها نحن نعيش هنا.

ولم ترغب فيليبا في المعارضة، على الرغم من أنها تعرف أن التعقل يفرض عدم استمرار هذا الحوار. وبالرغم من علاقات ماريوس ليون الغرامية العديدة، فقد شعرت بأنه رجل يتمنى أن يخلّد ما خلفته موهبته ومسيرة حياته. وهذا يعني انجاب أبناء يرثون أمبراطوريته، وهذا بدوره يعني الزواج. ولو كانت سيلا جادة لكانت قد اكتسبته حتى الآن. وصرحت بهذا الرأي لكاتي التي انقضت على هذا التصريح مثلما ينقض الكلب على عظمة.

ـ في السنوات الأولى، نظر عمي الى سيلا كأرملة لأخيه، وهذا ما جعلها بعيدة المنال. ولكنه في السنة الماضية بدأ يفكر بها كامرأة يستطيع الحصول عليها. ولا أظنه حصل عليها بعد!

ـ أنا مندهشة أن لا تكوني أكثر ايجابية. أظن أنك تجسست لتعرفي ماذا يجري!

ـ لقد فعلت من وقت الى آخر، ولكنني لم الاحظ أي شيء.

ولم تتمالك فيليبا الا أن تضحك. فهناك شيء في صراحة كاتي بحيث من الصعب أن تغضب منها. واقترحت عليها لتغيير الموضوع أن تنزلا لتتناولا الطعام. وعندما خرجتا من المصعد في الطابق السفلي كان الرجل والمرأة اللذين يتكلمان عنهما واقفان على مدخل غرفة الطعام،

عندها عرفت فيليبا أنها لن تتناول العشاء لوحدها مع كاتي. واحمرت وجنتاها من الاحراج، فقد شعرت بنفسها أنها تقف في الطريق، وأصبحت متأكدة أن الفتاة قد تعمدت أن تبقيها دون أن يعلم أحد بذلك. ولكنها كانت مخطئة. فعندما دخلت غرفة الطعام، أرشدها ماريوس ليون الى المقعد على يمينه وقال:

ـ لقد اختارت كاتي الطعام هذا المساء على شرفك، وتطلب ذلك كل نفوذي ليتم الأمر في الوقت المناسب. لقد وصل الكركند من خليج سيام الى مطار لندن هذا الصباح.

وربط الاحراج لسان فيليبا، فكما لم تتوقع كل هذا كانت لا تريده. وترك لسيلا أن تبدأ الحديث:

ـ هل لديك اهتمام خاص بتايلاند آنسة روجرز؟

ـ في الحقيقة لا. ولكن كان يجب علي، فقد كنت أنوي قضاء عطلة هناك ولكنني ألغيتها.

وقالت كاتي شارحة:

ـ ما تعنيه فيليبا أن كل المجموعة من جريدة «أخبار اليوم» كانت ستذهب ولكن تذكرتها الغيت عندما طردها ماريوس.

واهتزت فيليبا قائلة «كاتي...» ولكن الفتاة لم تتراجع:

ـ لهذا السبب سنقدم لك عشاء من «تاهي» فقد اعتقد ماريوس أن هذا ما يجب فعله على الأقل. ألست محقة؟

والتفتت الى عمها متسائلة، وهز رأسه بالايجاب دون أن يتكلم، ولم تكن فيليبا متأكدة ما إذا كان يداعب ابنة أخيه أم أنه موافق معها حقاً. لأنها لم تكن تتصور بأنه قد يندم على أي عمل يقوم به. ألم يقل هذا بنفسه بأنه إذا اتخذ قراراً. لا يغيره أبداً؟

وقالت سيلا، متابعة أداء دورها كمضيفة:

ـ كما عرفت، انك تعملين في صحيفة أخرى.

ـ أعمل في صحيفة «المونيتور».

ـ أعتقد أن على الفتاة أن تكون قوية الارادة كي تجرؤ على قساوة العمل في شارع «فليت» فالصحافة عمل قاس.

ـ ولكنه منتج.

ـ المال رائع بالطبع ولكن..

ـ لم أقصد المال، بل قصدت العمل الذي يقوم به الانسان.

ـ ماذا تعملين؟

ـ حالياً في قسم الأخبار، فالادارة لم تقرر بعد مكاني.

خيبة الأمل التي بدت واضحة على سيلا من هذا الجواب جعل فيليبا تدرك كم تبدو وظيفتها قليلة القيمة، ونظرت الى مضيفها نظرة خاطفة، ولكنه بدا غافلاً عن المحادثة، وكانت متأكدة أنه لا يفكر بالأمر وينشغل بالتفكير بأشياء أخرى أهم. وتكلمت سيلا مرة أخرى:

ـ اخبريني آنسة روجرز، هل أنت واحدة من نسائنا المتحررات اللواتي يعتقدن أن مستقبلهن العملي أهم من الزواج؟

ـ أنا لا أحب عبارة الاناث المتحررات. فهذا تعبير قديم الطراز في أيامنا هذه.

ـ أعتقد أني شخص قديم الطراز. لقد كنت على الدوام لا أحب العمل في وظيفة ما. أظن أن ذلك بسبب أنني ولدت للحياة المنزلية.

ـ بعض النساء يعملن الاثنين معاً!

ودخل الخادم ليسأل اين سيتناولون القهوة، مما وضع حداً للحوار الذي كان يتحول الى التفجر. وقال ماريوس:

ـ لا أريد القهوة، يجب أن أخرج. قدمها في غرفة الجلوس.

ونظر الى كاتي قائلاً «يجب أن تذهبي للنوم».

ـ لست متعبة.

ـ ومع ذلك ستذهبين للنوم. فالفيزيائي قال انك يجب أن تحصلي على الكثير من الراحة.

ـ هل تستطيع فيليبا البقاء معي.

وقالت فيليبا بسرعة، محاولة تجنب الجدل.

ـ أنا ذاهبة الى المنزل.

ـ متى ستأتي لرؤيتي ثانية؟

ـ سأتصل بك.

وقال لها ماريوس وهو يقف.

ـ سأوصلك الى المنزل.

ـ لا تزعج نفسك أرجوك، أستطيع الذهاب بسيارة أجرة بسهولة.

وتجاهل قولها، وتحرك نحو سيلا التي وقفت كالحمامة المستوحدة في ثيابها الرمادية الفاتحة وقال لها:

ـ آسف لاضطراري لتركك، فهناك إضراب في المرافق العامة ولقد وعدت بأن أحاول جمع الطرفين معاً.

ـ سأنتظرك ماريوس.

ـ لا تفعلي هذا قد أتأخر كثيراً.

ـ إذاً سأترك لك بعض الشراب الساخن والسندويشات في غرفتك، فانت تحس دائماً بالجوع بعد أن تفقد أعصابك!

ـ ماذا يجعلك متأكدة أنني سأفقد أعصابي؟

وسارت سيلا معه نحو الردهة، تاركة فيليبا لتلتقط سترتها وتلقي التحية على كاتي وتخرج الى سيارة الرولز المنتظرة.

ـ لم يكن لزاماً عليك أن ترافقني الى منزلي.

ـ لم أعرف ما إذا كان لديك حساب مصاريف في «المونيتور».

ـ أنا لا أطالب بمصاريفي الخاصة.

ـ أنت إذاً لست كالصحافيين الآخرين. ربما كان يجب علي أن أكون أكثر حرصاً عندما طردتك.

ـ أظن أنك دائماً حريص قبل أن تفعل شيئاً.

ـ بعض الأحيان يستنفذ غضبي أفضل ما في أحكامي. أظن أنك تعتقدين أننا أكثر عائلة محبة للشجار.

ـ لنقل أني أعتقد أنني لم أشاهد أفضل جانب من أي منكم!

ـ لقد كانت حياتي أكثر هدوءاً قبل أن تأتي كاتي وسيلا للعيش معي. فقد جعل وجود امرأة وطفلة في المنزل الأمور أكثر إثارة.

ـ هل وجدت ذلك مزعجاً؟

ـ وكان مكافئة لي أيضاً. لقد استمتعت بوجود تفكير فتي لمساعدتي في توضيح الرؤيا. كاتي طفلة ذكية ولها قدرة فائقة للتعلم.

ـ ولا تزال ذكية سيد ليون، على الرغم من أنها لم تعد طفلة.

ـ لن نتجادل حول تصرفي مع كاتي، فلاشيء تقولينه يجعلني اغير فكري.

ـ أنت صلب عنيد كثيراً.

ـ وأنت أيضاً. ولكنك عاطفية أيضاً. وهذا ما يجعل الأمر خطيراً.

ـ ماذا تعني؟

ـ ذلك انك تصرين على رؤية الن عبر منظار كاتي الوردي! لقد اقنعتك أنه وقع في حبها دون أن يعرف من هي، وقد انطلى عليك الأمر تماماً. ولو نظرت إليه بتجرد لأدركت حقيقته.

ـ إذا كنت لا تزال تحمل الكثير ضده هكذا، فلماذا سمحت له بمقابلة كاتي؟

ـ لقد أخبرتك بذلك. إذ لا يجب أن تكون مشوشة. وإذا كانت رؤيته ستساعدها على أن تكون أفضل... كما أني أمل أن تعيد رؤيتها له التعقل إليها.

ـ إنك تقودني لأن اعتقد أن هناك فرصة لتغيير رأيك حول الن. ولكن الطريقة التي تتحدث بها عنه...

ـ لو كنت صادقاً تماماً، لما وافقت على أن تقومي بدور الوصيفة.

ـ طبعاً لن أوافق. لقد دفعتني متعمداً لاعتقد أنك منفتح الذهن حول الن.

ـ لقد قلت انني كنت أرغب في أن أرى رأي من هو الصائب.

ـ أنت الرجل الأعند راساً ممن قابلتهم في حياتي.

ـ وأنت المرأة الأعند راساً!

وبحركة غاضبة ضغط على الفرامل وأوقف السيارة، واندفعت فيليا الى الأمام حتى ارتطم رأسها بحدة بالزجاج الأمامي. فصرخت:

ـ هل عليك أن تؤذي كل من له صلة بك. ألا يمكن أن تكون أكثر حذراً بما تفعل؟

ـ أنا آسف كنت أظن أنك تضعين الحزام الواقي. أرجوك سامحيني، لم أكن أقصد إيذاءك.

وكان صوته متوتراً، والكلمات متشنجة، ومات غضبها فجأة كما بدأ. ومسحت جبهتها واحست بورم تحت أصابعها. وقال لها بنفس الصوت الخشن الذي استخدمه مع سيلا.

ـ أظن أنك ستكونين مسرورة بالتخلص من عائلة ليون. أليس كذلك؟

وبحركة فاجئتها، أمسك بكتفيها وجذبها الى صدره. وعلى الرغم من برودة الطقس تلك الليلة، لم يكن يرتدي معطفاً، ومن خلال القماش الناعم لسترته شعرت بخفقات قلبه والدفء والقوة اللتان انبعثتا منه. ولم تشعر بثقل ذراعيه حولها. وعلى الرغم من أن ضخامته جعلتها تشعر أنها بين ذراعي دب، إلا أنه كان رقيقاً جداً. بالنسبة لرجل ضخم مثله كانت لمساته خفيفة بشكل مذهل، وقال لها بغرابة:

ـ تستطيعين مطالبتي بتعويض.

ـ ساعاني الألم بصمت.

ـ أشك في أن الصمت هو أحد فضائلك.

وأبعدها قليلاً عنه، مع أنها كانت لا تزال قريبة جداً بحيث تستطيع رؤية بؤبؤ عينيه والحدقة الرمادية التي تحيط بهما. كان ذلك وكأنها تشاهده على شاشة التلفزيون، والكاميرا تحاول الدخول الى قلبه

عبر قسماته. ومع ذلك فلم ينم وجهه عن شيء - فقد بقي حاقداً وقاسياً كما لم تعتقد أبداً أنه سيكون.

ومع ذلك فلم يكن هادئاً، فقد كان في عينيه نظرة دافئة غير متوقعة وحنان غير متوقع أيضاً بالطريقة التي يمرر بها أصابعه على كتفيها، بلطف تذكرها بلمسة غير مطمئن. وأخذت تفكر بغرابة بالنمور والأسود، كم هي مشابهة لهذا الرجل الغامر الرجولة.

- هل تشعرين بتحسن؟

- نعم، شكراً لك، أنا آسفة لغضبي.

وابتعدت عنه، وخاب أملها لأنه لم يحاول منعها. وتكلمت بأول كلمات بدرت الى ذهنها، وهي غير راغبة في الكلام مرة ثانية عن آلن.

- لم أقل أبداً لكاتي عن سبب الغاء رحلتي الى تايلاند. ربما علمت ذلك من شخص آخر. لا أريدك أن تظن أنني أحمل لك أية ضغينة لهذا السبب.

- لن أظن ذلك أبداً. فأنت لست من النوع الذي يحمل ضغينة.

كان هذا الكلام أول شيء طيب يقوله عنها، وشعرت أن حرارتها قد ارتفعت عدة درجات، ولم يكن هناك أي طريقة لاحتساب الدفء الذي اكتنفها. وتابع:

- على كل لقد كلفك طردي لك خسارة الرحلة. وعندما اقترحت كاتي العشاء التاهي بدت لي الفكرة ممتازة.

- لقد تحملت المشاكل والتكاليف.

- فقط في الحصول على «الكركند» وما تبقى حُضّر هنا.

- كان هذا لطف منك.

- ألست معتادة على رجال يفعلون الأشياء اللطيفة لك؟

ولم ترد عليه، ومال رأسه الى الأمام وشعره يلمع فضياً في ضوء السيارة الداخلي وأضاف:

- لا تقولي لي أن صحفية لامعة مثلك يحرجها الإطراء؟

- إذاً، كنت تصغي إلى الحديث على طاولة الطعام. ظننت أنك لم تكن تستمع.

- لا استمع عندما أكون ضجراً أو منشغلاً ببعض المشاكل.

- لقد كان لدى انطباع بأنك كنت ضجراً عند العشاء هذه الليلة.

- ولماذا؟

- من حديث النساء.

- ومن بعض المخالب التي امتدت، فسيلا شديدة الحساسية للدفاع عن كاتي وعني.

وصدمت فيليبا لكونه يتعامى هكذا. هل يعتقد فعلاً أن زوجة أخيه تقوم بحمايته فعلاً؟ حماية مطالبها هي أقرب لأن تكون الحقيقة. وقال وصوته يحمل بحة سرور:

- استطيع أن أرى عدم الموافقة تنبعث من خلف عينيك الذهبيتين.

- كلنا نرى بعضنا برؤية مختلفة.

- هل تعنين انك لا ترين زوجة اخي بالطريقة التي أراها بها؟

- أنت تعرفها أكثر مني. وملزم بأن تراها بشكل مختلف.

- سيلا قد لا تعجب النساء الأخريات. ولكنها تتصرف بشكل ممتاز مع كاتي.

- أظن أنك من جعلها هكذا.

واستدار إليها وحدق بها، وكأنما أدرك أنها لم تكن تسخر، فرك جانب وجهه بارتباك وقال:

- لم أعتقد أبداً أنك ستقولين هذا.

- أصبحت أعرفك أكثر الآن. كاتي تحدثت عن نفسها كثيراً هذا المساء، وبالطبع ذكرتك.. الطريقة التي شجعتها بها للتفكير بنفسها.. ولاستخدام ذهنها... ولتجعلها تدرك ماذا يجري في العالم.

- لديها عقل جيد. لهذا أريدها أن تتوسع به. وستكون غبية إذا سارعت بالزواج.

ـ ليس إذا كانت واقعة بالحب فعلاً، فالزواج لا يمنعها من التطور.

ـ كم من النساء تعرفينهن وقد استمررن بحياتهن العملية بعد الزواج؟

ـ الكثير. . خاصة إذا كن يستطعن تحمل تكاليف من يساعدهن في المنزل.

ـ مهما كانت هذه المساعدة، فإنهن سيبقين ممزقات بين عالمين. بين رغبتهن في العناية بالأطفال والزوج وبين الرغبة في النجاح بحياتهن العملية.

ـ الرجال يحتفظون بالأمرين معاً.

ـ إنهم مختلفون عن النساء. فهم لا يشعرون بالذنب من ترك طفل والذهاب الى المكتب، ولم التق بعد بامرأة لا ترغب في الإسراع الى المنزل لحظة أن يبدأ طفلها بالبكاء في طلبها. ولا تقولي لأنها لا تستطيع الحصول على مساعدة!

ـ أوافق على ما قلت.

ـ هذه عودة الى الأصول. فهذه أول مرة توافقين معي على شيء.

ـ إنها أول مرة تقول فيه شيئاً صحيحاً.

وأرجع رأسه الى الوراء وضحك، بصوت عال سبب رنيناً حولها:

ـ أنت لا تتملقين أحداً، أليس كذلك فيليبا؟

لم يكن قد ذكر اسمها الأول من قبل وتساءلت عما إذا كان مدركاً لذلك، وكرر ذلك في جواب على سؤالها الذي لم تطرحه.

ـ فيليبا. . . إنه اسم يناسبك تماماً، حلو وحاد.

ـ أنا حادة عادة.

ـ ولكن الحلاوة موجودة، تنتظر من يدق بابها.

ـ تجعلني أبدو كشجرة الصمغ.

ـ وشعرك له لون سائل الصمغ.

ـ لنأمل أن لا ينتهي الأمر بي للالتصاق.

ـ نهايتك ستكون البيت في الريف والكلاب في الحديقة والأطفال على السجاد! يبدو أنني وابنة أخي قد اقتحمنا حياتك في الأسابيع الأخيرة أمل أن لا نكون قد سببنا لك الكثير من الإزعاج.

ـ ليس لدي صديق ليعترض. إذا كان هذا ما تريد أن تعرفه.

ـ أنت لا تؤمنين بالإدعاء، أليس كذلك؟

ـ لماذا؟

ـ لأن الكثير من النساء يعتقدن أنه يزيد من الرغبة بهن إذا اعتقد رجل أن هناك من سبقه اليهن.

ـ لا أجد سبباً لأزيد من الرغبة بي معك.

ـ أنت محقة فيليبا. أنت لست بحاجة لزيادة رغبتي بك، إنني أجدك فعلاً مرغوباً بها.

ـ لا. . . لا تدّعي!

ـ من يدّعي؟

وبينما كان يقول هذا جذبها الى ذراعيه، ودون أن تتوقع ذلك، لم تكن مستعدة للدفاع. فلم يكن أي دفاع قادر على مقاومة الرغبة لديه. ولم يكن هناك أي ادعاء في هذا، فقط بل مشاعر دافئة بيضاء استحوذتها، وكانت مفاجئة لها لم تقدر أن تتجاوب معها. وبقيت ساكنة بين يديه. وكأنما هو «زومبي» يحاول نزع الحياة منها.

وتراجع عنها قليلاً لينظر الى عينيها. وما رآه كان مرضياً له، لأنه اجتذبها مرة أخرى وضمها إليه. وكأنما هو يحنو على مشاعرها كما يحنو الشيطان على النار. ولم يستغل هذا الوضع بل استمر في احتضانها بحنو مشجعاً لها على التخلص من آخر ما تبقى لديها من الخوف منه. وبدا صوته مبحوحاً وخافتاً وهو يقول لها:

ـ لم أكن أتوقع أن يحدث هذا عندما عرضت عليك أن أوصلك.

وهمست:

ـ أنا سعيدة لأن الأمر لم يكن مدبراً من قبل.

- لم أعتقد أنه سيحدث الليلة، ولكنني رغبت فيك بنفس اللحظة التي شاهدتك بها. ولا أزال.

- لديك اجتماع تحضره، أنسيت؟

- أستطيع أن اختصره. إذا عدت اليك هل تسمحين لي بالبقاء؟

- البقاء؟

- معك... الليلة.

- لا.. لا.. لن يحصل أبداً... لا أستطيع!

وبدا صوتها حاداً، وأعلى مما قصدت أن يكون، وقال لها:

- ألا تؤمنين بالحب؟

- آه بلى.. لهذا أنا... أعني لأنني أؤمن بالحب، لا أريد استباق الأمور.

- قد يبدو لك ذلك غباء مني؟

- إنه غباء مطبق في هذه الأيام وفي هذا العمر. ولكنه غباء أنا سعيد به.

وعاد الى احتضانها، حتى زالت اللا التي قالتها منذ لحظات، ولكنه تذكر ما أكدت عليه منذ لحظات وأبعد يديه عنها قائلاً بارتجاف:

- لم أغازل امرأة من قبل في السيارة. ولكن هناك دوماً مرة أولى.

- أظن من الأفضل أن توصلني الى المنزل سيد ليون.

- حسناً آنسة روجرز، بعد النصف ساعة الأخيرة ألا تظنين أنك قادرة على دعوتي، ماريوس.

- قد يبدو هذا غريباً علي. لم أفكر بك بهذه الطريقة من قبل.

- على الأقل فكرت بي...

- بالطبع... وبكثير من البغض!

- أنت لست خائفة مني فيليبا، وهذا واحد من الأشياء التي أحبها فيك.

وأدار السيارة، وفي بضع دقائق وصلا الى حيث تسكن. وقالت بسرعة:

- لا تزعج نفسك بالخروج، فقد تأخرت عن موعدك.

وقفزت من السيارة، وعندما وصلت الى المدخل وجدته الى جانبها.

- لم أقل لك تصبحين على خير.

- لقد قلت هذا من قبل.

- إذاً تصبحين على خير يا عزيزتي، نامي جيداً.

وصعدت الى غرفتها وبدأت تخلع ملابسها استعداداً للنوم، وتوقفت برهة لتنظر الى جسدها في المرآة، طويل ونحيف في غلالة زهرية، وشعرها ينسدل على كتفيها ووجهها يخلو من المساحيق كانت تبدو كبنات المدرسة، ومع ذلك لم يكن هناك شيء طفولي في تقاسيمها. وتساءلت: ماذا حدث لها هذه الليلة؟ من المؤكد أن شيطاناً قد استحوذ على مشاعرها، والا لما استسلمت له بمثل هذا الخضوع. يوماً ما ستقابل الرجل الذي سيوقظ مشاعرها كامرأة. ولكنها لا تعتقد أبداً أنه قد يكون مثل ماريوس، وصرخت عالياً:

- لا!... أنا مجنونة.. هذا أمر مستحيل.

ولكنه كان أكثر من ممكن، كان واقعاً. وارتدت ثياب النوم بسرعة وصعدت الى الفراش. انها بالكاد تعرف الرجل، وحديثهما معاً كان ينتهي دوماً اما بعدم الاتفاق أو بالعداء. حتى هذه الليلة عندما اكتشف أنها تركت كاتي وآلن وحدهما، كان يبدو غاضباً لدرجة أنه كاد يضربها. ومع ذلك فبعد فترة قصيرة أخذها بين ذراعيه وكأنما كانت المرأة الوحيدة في حياته. وفي ظلام الغرفة واجهت الحقيقة المستحيلة، لقد وقعت في حب ماريوس ليون. «لا» صرخت مجدداً وجلست الى الفراش وأشعلت الضوء. ولكن نوره لم يبدد الخيال المجنون من ذهنها واستمرت الأفكار المجنونة تتزاحم في عقلها.

لم تستطع البقاء في الفراش، وذهبت الى المطبخ لتعد شراباً ساخناً. انها غبية أن تعطي قلبها لرجل قد لا يتزوجها أبداً، ومن البلاهة التفكير به. فهو من الملوك المهمين الذين يمتلكون البطوة بينما هي

كانت مسهاراً غير ذي أهمية في دولاب امبراطوريته الدائر. فماذا يملك مثل هذا الرجل من شيء مشترك معها؟

شكراً للسماء على أنها لم تعد تعمل لديه. وأمسكت كأساً من الحليب الساخن وعادت الى غرفة الجلوس وأدارت المدفأة، فعلى الرغم من التدفئة المركزية كانت ترتجف. ماذا تعرف عن ماريوس عدا ما أخبرتها كاتي. ولم يكن ما سمعته يوحي بأنه رجل ينقصه المال، لا المال فقط بل الوقت والأفكار. كان من السهل على ماريوس أن يسكن سيلا وكاتي في بيت خاص بهم. ولكنه أدرك أن فتاة في الرابعة عشر لا تزال بحاجة الى مثال للأب قد تحتاجه في نصيحة أو حنان، لذلك فتح لهما منزله. وتنهدت فيليبا، فطيبة ماريوس لم تجلب له أية مكافأة حتى الآن، فبعد أربع سنوات لا يزال يُنظر اليه كديكتاتور من قبل الشخص الوحيد الذي يحبه. ولكن يجب أن تتوقف عن التفكير به، فقد يقودها هذا الى مزيد من التورط معه. كم ستضحك سيلا ليون لو رأتها الآن، الصحفية المتمرسة الواقعة في الحب، وهي تدور حوله كفراشة تطلب الموت. ولكن كيف تستطيع نسيان ماريوس اذا استمرت في رؤيته؟ فالذنب الذي زرعه في نفسها حول كاتي كان قوياً بحيث لا تقدر على نسيان الفتاة، وطالما بقيت كاتي مقعدة وتحتاج اليها ستكون مجبرة على التواجد معها. انه رجل استخدم الكراهية الأولى لديها والتي تلاشت سريعاً وماتت، وصعّد بعد ذلك الاعجاب الذي تحول دون توقع الى حب. حب تعرف يائسة أنه سيبقى معها الى الأبد.

١٠. لقاءات الجمر

مع أن فيليبا كانت تتحرق شوقاً لرؤية ماريوس إلا أنها استخدمت كامل ارادتها لتقاوم توسلات كاتي في الهاتف لتأتي لزيارتها، أملها في أن تسمع شيئاً من ماريوس مات بعد أن جرت الأيام دون كلمة منه، ومع ذلك فلم تستطع منع نفسها من الارتجاف كلما سمعت جرس الهاتف يدق على طاولتها، لقد كانت حمقاء عندما ظنت أنه قد يرغب في استمرار علاقتهما. وشعرت بالفرح لأنها رفضت قضاء تلك الليلة معه، فكم كانت ستشعر بالتعاسة لو أنها فعلت.

واعترفت بمرارة أن كلمة «حب» كانت خاطئة. فلو أنها شعرت أن الحب هو الذي دفعه لطلب البقاء معها تلك الليلة، لما وجدت سهولة في رفضه. وقررت يوم الجمعة أن تذهب الى منزل أهلها. فقد كانت غير قادرة على مواجهة أمر بقائها في لندن والخروج مع أحد الشبان الذين طلبوا منها ذلك. وبدت العودة الى منزل أهلها الحل الطبيعي. وقررت بثبات صرف ماريوس من أفكارها والاستماع الى أبيها الذي كان يحادثها أثناء الطعام عن تفاصيل خلافه مع أحد المزارعين حول حق المرور على طريق عام. وعادت يوم الاثنين الى المكتب وعلمت أن كاتي اتصلت بها ثلاث مرات. وعلمت أنها ستكلم الفتاة عاجلاً أم آجلاً، فقررت الاتصال بها فوراً، وقالت لها كاتي عندما التقطت المكالمة:

ـ كم أنت صديقة رائعة. تذهبين مع عمي ولا اعود اسمع عنك شيئاً مرة أخرى.

ـ لقد كنت مشغولة.

ـ لم يكن يشغلك شيء يمنعك من رؤيتي عندما كنت في المستشفى. هل أنت غاضبة من شيء، هل أنت غاضبة؟ ماريوس أغضبك، هل فعل؟

ـ بالطبع لا، لماذا تقولين هذا؟

ولم تلاحظ فيليبا أن نبراتها كانت حادة حتى سمعت كاتي تجيب:

ـ إذاً فقد أغضبك! أهذا السبب لم تأتي الى منزلي؟

ـ ليس لعمك علاقة بهذا، لقد قلت لك إني كنت مشغولة.

ـ أتمنى لو انني أستطيع قول نفس الشيء عن نفسي. فماريوس في أوستراليا وسيلا تجول في المنزل كشبح لا يجد منزلاً يأوي اليه.

ـ لم أعلم أن عمك ليس هنا، فهذا غير متوقع، ولكن دعينا لا نتكلم عنه. فأنا أتصل بك من أجل آلن.

وأجبرت فيليبا نفسها لتركز على ما تقوله كاتي، ولكن الأمر كان صعباً. فكل أفكارها كانت مع ماريوس، فقد سافر إذاً في اليوم التالي الذي أوصلها فيه الى منزلها. لا عجب إذاً أنه لم يتصل، وكانت تعتقد أن ذلك لأنه لم يرد رؤيتها مرة أخرى. بالطبع ليس هناك ضمان بأنه سيتصل بها عند عودته، فقد يقرر أنه لا يريد رؤيتها بعد الآن، الزمن وحده، وتصرّف ماريوس عندما يعود، سيقرران ما إذا كانت متعلقة بالفراغ. وسألتها كاتي:

ـ ألا زلت معي؟

ـ طبعاً، كنت تتحدثين عن عمك.

ـ كنت أتحدث عن آلن.

ـ ما به؟

ـ لا شيء، ولكنه قادم لرؤيتي اليوم ومن المفترض أن تكوني هنا. واذا لم تحضري سيصبح ماريوس غاضباً.

ـ لم أظن أبداً أنك ستعترفين أنك لا ترغبين في عصيان عمك؟

ـ الأمر لا يتعلق بأنني أريد أن أطيعه، ولكن اذا لم أفعل ستخبره سيلا، واذا لم أنفذ شروط ماريوس، لن أتمكن من رؤية الن ثانية.

ـ كفي عن القلق حول لا شيء. سأكون عندك الساعة السادسة. أو أبكر اذا استطعت.

ولكن أملها في ترك المكتب قبل الموعد خاب. فوصول احدى نجمات هوليود الى لندن مع زوجها السابع أجبرها على الذهاب الى فندق «سافواي» لمقابلتها. والمقال الذي كتبته أعجب جاك لان كثيراً حتى أنه قرر نشره في ذلك الصباح. وقال لها آمراً:

ـ أعيدي كتابة الصفحة الأولى وأرسليها لي. سألغي مقال الطبخ وأضع مقالك مكانه.

ـ هذا سيجعلني معروفة لدى متابعي أخبار الطبخ!

وشعرت بالغبطة لمعرفتها أنها ستحصل على أول مقال كامل لها في الجريدة، وأمضت وقتاً طويلاً وهي تصقل الفقرة الأولى منه حتى ما بعد السابعة. واغتاظت من نفسها لهذا التأخير، واتصلت بكاتي لتشرح لها السبب. وقالت كاتي ضاحكة:

ـ لا أمانع اذا تأخرت. على الأقل لقد حافظت على وعد ماريوس وطلبت منك الحضور.

ـ هل وصل آلن؟

ـ منذ خمس دقائق، ولكن لا تقلقي سأكون بحالة جيدة، تستطيعين التأخر كما تحبين.

ووضعت فيليبا السماعة وهي مرتاحة قليلاً ومنزعجة قليلاً. فعلى الرغم من أنها تكره أن تمثل دور الوصيفة إلا أنها قطعت وعداً بهذا. من دون شك فإن آلن وكاتي يشعران بسعادة أكبر من دونها. وأسرعت في تجميع صفحات مقالها، وأخذتها لجاك لان وانتظرته لتحصل على الموافقة. ثم اسرعت خارج المبنى وركبت سيارة اجرة. ووصلت في

الساعة الثامنة والنصف الى منزل ماريوس ودون التوقف لاعطاء معطفها للخادم، دخلت مسرعة الى غرفة الاستقبال وكانت فارغة، ووقفت عند الباب قائلة للخادم:

- ظننت أن الآنسة ليون والسيد بدفورد هنا.

- لقد غادر السيد بدفورد، والآنسة كاتي ترتاح في غرفتها.

- هل هي مريضة؟

- أظن أنها متكدرة ولجأت الى الفراش.

- هل تعتقد أنني أقدر أن أراها؟

- انتظري هنا أرجوك يا آنسة، أظن السيد ليون يريد رؤيتك أولاً.

ودق قلب فيليبا بصخب. فقد قالت كاتي ان ماريوس في أوستراليا. وشرح لها الخادم الأمر وكأنما قرأ أفكارها:

- لقد وصل السيد هذا المساء.

ثم دخل الى الغرفة المقابلة وعاد الى الظهور فوراً وأشار اليها براسه. وذهبت فيليبا لترى ماريوس، وكأنها تلميذة مدرسة تذهب نحو مكتب مدير المدرسة. ووقف عند دخولها، ولكنه لم يتحرك باتجاهها. بشرته المحمرة كانت أكثر شحوباً مما تعرفها، يشوبها بعض اللون الرمادي من التعب، زاده بروزاً السواد على جفون عينيه والظلال تحتهما. وبادرها بصوت خشن بدد نواياها الطيبة:

- أظن أننا قررنا عدم ترك كاتي وآلن وحدهما.

وبدلاً من أن توافق معه، وهذا ما كان يجب أن تفعل، رفعت رأسها متحدية وقالت:

- أنت قررت، لا أنا.

- أهذا لم تطيعيني؟ أنت تعلمين جيداً أنني لا أريد الاثنين لوحدهما.

- لن يحدث شيء إذا كانا لوحدهما!

- كيف تكوني متأكدة؟

ورفع يده وتراجعت هي إلى الخلف خائفة من أن يضربها وصرخ راعداً.

- لقد أخرج كاتي من كرسيها المتحرك، وأجلسها على ركبتيه. هل تظنين أن هذا أمر مسلي؟

- أظن أنه أمر طبيعي، فهما يحبان بعضهما.

- إنه يحب مالها.

- لا تستطيع إثبات ذلك.

- ثقي بكلمتي، لو كانت كاتي فتاة عادية، لن يتطلع بها أبداً.

- إذاً احرمها من الميراث.

نطقت فيليبا بالكلمات وندمت عليها في نفس اللحظة التي شاهدت النظرة على وجهه فقالت بسرعة:

- لم أعنِ ما أقول، لقد تكلّمت دون أن أفكر.

- مع ذلك فهي فكرة جيدة. لقد فكرت فيها بنفسي.

- لا تستطيع أن تفعل هذا، سيكون عملاً وحشياً.

وجلس في مقعد صغير وهو يقول:

- ماذا تظنين أن يكون وضع كاتي لو لم يتوفى أبوها؟

- لا أعرف. أظن انك ستكون العم الثري الذي سيرسل إليها هدية زفاف رائعة.

- ربما أكثر من هذا قليلاً. ولكنها لن تكون بالطبع وريثة. منذ أن أتت لتعيش معي بدأت أنظر إليها كشقيقة صغيرة أكثر من كونها ابنة أخي. ويبدو لي لو أن آرثر لا يزال حياً اليوم لن يكون عليها أن تقلق عما إذا كان حبيبها يرغب بها أم بمالها.

- هل يجب أن تصور الأمر هكذا؟

- هل أنت سريعة التأثر بالحديث عن المال؟

- أنا فقط لا أحب الطريقة التي تتحدث بها.

واستدارت مبتعدة عنه وهي تقاوم رغبتها في البكاء.

عدة مرات منذ آخر لقاء بينهما قالت لنفسها أن لا تتأمل آمالاً حمقاء به، ولكنها لم تتصور أبداً أنهما عندما يلتقيان ثانية سيتجادلان وكأنهما لم

يكونا بين ذراعي بعضهما البعض. وأجبرت نفسها على النظر إليه قائلة:

- إذا كنت قد انتهيت من معاقبتك لي، فأنا ذاهبة.

وكان لكلماتها وقع صاعق عليه، فاندفع اللون إلى وجهه، جاعلاً من بشرته حمراء مرة أخرى، وقفز عن المقعد واقترب منها في خطوة واحدة طويلة. وصرخ قائلاً:

- يا لطبعي اللعين! إنها المرة الأولى التي أشاهدك منذ... وها قد أفسدت الأمر بالصراخ في وجهك. ولكنها غلطتك. فلديك هواية مزعجة بجر ذنب الأسد!

- هذا ليس صحيحاً، لقد كنت غاضباً مني حتى قبل أن أدخل. وأصبحت أكثر غضباً عندما رأيتني.

- لأنني أدركت كم أنا مشتاق لك. لقد كنت كثيراً في أفكاري، يا فيليبا، وأنا لا أحب هذا.

- إذاً أخرجني من أفكارك!

- هل استطعت نسياني؟

ورأى الجواب في اللون الذي اندفع إلى وجهها وأطلق ضحكة المنتصر وقال:

- يبدو أننا سوياً قد علقنا، أليس كذلك؟

- الفرق الوحيد أنني لا أمانع بهذا، بينما أنت تمانع.

وانتظرت على أمل أن يفكر، ولكنه بدلاً عن ذلك انزل يديه إلى جانبيه وتحرّك مبتعداً عنها، فقالت:

- تبدو متعباً.

- اشعر بذلك، تعب ومسن. تعب ومسن.

- يجب أن تأخذ حماماً ساخناً وتذهب إلى الفراش.

- وحدي، أم معك؟

- ستكون مندهشاً كثيراً إذا قلت «معي».

- بل سأظن أنك تستخدمين امتياز المرأة وتغيري رأيك.

- لماذا ترغب بي. ماريوس؟ تستطيع الحصول على العديد من النساء دون أن تضطر للطلب مرتين.

- ربما أجد هذا تغييراً، أن أطلب مرتين. فالرجل صياد لا تنسى. وهو يحب الإثارة في الملاحقة.

- أنت تتكلم بشكل «كليشيه».

- ذلك لأن سؤالك «بايخ»! فلا حاجة لك لتقولي لماذا أريدك. فلك جسد جميل، أو ما شاهدته منه، ووجه شديد الجمال.

- هل هذا كل ما ترغب به في المرأة - جسد ووجه؟

- حتى الآن كان هذا كافياً.

وتوقف، وقطب، ثم ذهب ليقف أمام صينية على طاولة خشبية قرب النافذة وسألها:

- ماذا تشربين؟

- لا شيء شكراً، لم آكل بعد وإذا شربت ومعدتي خاوية سا....

- لم تقل كاتي أنك قادمة للعشاء.

- كنت أتوقع أن أحضر عند السادسة. ولكن كان عليّ أن أنهي مقالاً. لقد نويت أن اكون هنا مع آلن. ولكن من سوء الحظ لم أتمكن من ذلك.

- يبدو أنني يجب أن اعتذر.

- لا أتوقع منك الاعتذار.

- ولماذا لا؟

- هل اعتذرت من قبل أبداً؟

- لا، ليس منذ أن كنت طفلاً، ولكن ليس عندي اعتراض في أن اعتذر لو كنت مخطئاً. أنا آسف، فيليبا، آسف لأنني فقدت أعصابي وآسف لأنني أسأت الحكم عليك.

ورسمت ابتسامة على شفتيها، وأدركت أنها لن تستطيع السيطرة على ارتجافها، فابتعدت، ونظر إليها بصمت، ثم استدار إلى الطاولة وصب لنفسه كأساً، ثم قال فجأة:

- انني أقارب الأربعين، ألا أبدو كبير السن عليك؟
- فقط عندما تسأل سؤالاً مثل هذا السؤال!
ولم يظهر عليه أي تأثر واتكأ على رف المدفأة وحدق بها بجدية، فقالت:
- أرجوك أن تجلس، لا أستطيع تحمل كونك كالبرج فوقي.
- هل تريديني أن أخسر كل امتيازاتي؟ فأنا أبذل جهدي لأبقيك في مكانك؟
- وما هو مكاني؟
- بالنسبة لي مكانك في «المهد» فأنت طفلة يا فيليبا، مثل كاتي.
- أنا أكبر من ابنة اخيك بأربع سنوات، والعديد من السنوات عندما نذكر الخبرة.
- هكذا إذاً؟
- إذاً.. أنت طفولي عندما تتحدث إليّ هكذا. عندما أوصلتني إلى منزلي في تلك الليلة... وعندما... أنت وأنا... هل ظننت أنني أعاملك كأبي.
- من أجل السماء! ماذا تحاولين أن تثبتي؟
وأجبرت نفسها لترفع رأسها وتنظر إليه قائلة:
- إنني... انني أظن أنك أكثر الرجال الذين التقيتهم جاذبية.
ووضع كأسه على رف المدفأة واقترب ليقف قربها، وأمسك بإحدى يديه ذقنها وباليد الأخرى دفع الشعر عن جبينها إلى الخلف.
- هذا وجه طفلة، هذا الفم وهذا الأنف الصغير، وحتى ثنايا جبهتك. إنه وجه طفلة.
- لم أتجاوب معك كطفلة.
وأمسك بها ورفعها عن الأرض بالحمل، وكانت المرة الأولى التي تختبر بها قوته.
- فيليبا، لا...
- أنا من يجب أن أقول لا...

- من الأفضل أن نحصل على شيء نأكله، أنا متأكد أن الجوع هو الذي يسبب لي الارتجاف.
- أنا من يسبب لك الارتجاف.
- لقد أصبحت جريئة فجأة. ألم تعودي تخافين مني؟
- ليس ونحن هنا، لو كنا خارج شقتي لكان الأمر يختلف.
وضحك وتوجه نحو الهاتف وضغط زراً وطلب عشاء لاثنين، ثم عاد وجلس على المقعد المواجه لها.
- لقد علمت أنك لم تأت إلى هنا منذ آخر مرة رأيتك فيها.
- لقد كنت مشغولة.
- لقد كنت عادة تجدين الوقت لرؤية كاتي.
- لقد شعرت أنني أصبحت متورطة كثيراً في شؤونكم. أعرف أنني يجب أن أكون موجودة عندما يلتقي آلن وكاتي ولكنني... أرجو أن تحلّني من وعدي.
- لن أفعل.
- ولكنني غريبة وأشعر انني أقف في الطريق، لماذا لا تحل السيد ليون مكاني؟
- لأن كاتي تعتبرك صديقة.
- «العمة جيسي» الصغيرة.
- إنها نصيحتك التي ساعدت على استباق الأحداث.
- وهذا هو السبب الوحيد الذي جعلني أوافق على المجيء هنا..
- أهذا صحيح؟ هل هو الذنب فقط الذي يربطك بعائلة ليون؟
وسرت من وصول الخادم يجر طاولة، مما حال دون إجابتها. وكان ما قُدم من عشاء بارد من الفخامة بحيث يتوافق مع أكثر الأذواق تطلباً: كافيار مع قطع «توست» محمصة، ووعاء فيه شوربة الكريما وقطع الفطر تطفو على وجهها، وصحن من الكريستال فيه بعض التوت البري مغموسة بالسكر. الإحساس بالجوع لمنظر العشاء تغلب على الإحراج

الذي أحسّت به لتناولها الطعام معه لوحدهما للمرة الأولى.

وبدا أن وجبة الطعام اراحت أعصابه وغادرت بعض إمارات التعب وجهه، ولكنه كان لا يزال تعباً، لأنه جلس بهدوء دون أن يتكلم. وكان بإمكان فيليبا أن تجلس في مواجهته إلى الأبد، تستمتع بالنظر إليه وبالسرور الذي تشعر به لقربها منه، ولكنها كانت تدرك أن الرحلة كانت متعبة وعند العاشرة وقفت قائلة:

ـ أنت تعب ماريوس، سأذهب لرؤية كاتي لدقائق قليلة، ثم أذهب.

ـ لقد كانت في حالة هستيرية. عندما وصلت ورأيت أنك لست هنا طردت آلن، وثارت أعصاب كاتي...

ـ أتمنى أن لا تكون قد افتعلت مسرحية. لمن هو ذكي مثلك، ليس لديك فكرة عن تنفيذ ما تريد بهدوء.

ـ هل تظنين أنني أتمتع بالشجار مع كاتي؟

ـ إذاً يجب أن تحاول أن تكون أكثر دبلوماسية

ـ آخر مرة كنت فيها دبلوماسياً انتهى بها الأمر للهرب. إنها عنيدة وإذا تركتها لتحصل على اللقمة بين أسنانها ستهرب بعيداً.

ـ لا تستطيع تقييدها إلى الأبد.

ـ حتى تعرف فقط أنني على حق. لا تتجادلي معي فيليبا فأنا تعب جداً.

ـ يجب أن تنام.

ـ سأنام بعد أن أوصلك.

ـ لا تحلم بذلك، سأجد تاكسي بسهولة.

ـ لا.

قالها بتصميم واتجه نحو الباب، وعندما فتحه فُتح باب المدخل أيضاً ودخلت سيلا، فصرخت:

ـ ماريوس، لم نكن نتوقع قدومك حتى الغد، لماذا لم تخبرني؟ كنت ذهبت إلى المطار.

ـ لم أكن أعلم ذلك بنفسي. إنك تبدين رائعة يا سيلا.

وابتسمت له والتفتت إلى فيليبا قائلة:

ـ هل كنت مع كاتي.

ـ لا تأخرت في المكتب، وكانت كاتي قد ذهبت إلى الفراش.

ورد ماريوس:

ـ كاتي وآلن كانا لوحدهما عندما رجعت. فلم تكن فيليبا قد وصلت بعد وأنت في الخارج.

ـ لو كنت أعلم أن الآنسة روجرز لن تصل في الوقت المحدد...

ـ لم أدرك أن الأمر سيصبح كارثة.

ـ أنت لا تعرفين ابنة زوجي.

وتدخل ماريوس.

ـ لقد تكلمنا أنا وفيليبا بالأمر. سأحضر معطفي وأوصلك إلى منزلك.

ـ أرجو أن لا تفعل، سيكون من الأفضل أن آخذ تاكسي.

وسألت سيلا «وأين السائق».

ـ لقد أرسلته إلى منزله.

ـ إذاً سأوصل الآنسة روجرز بنفسي.

ـ هل تفعلين هذا؟

ـ طبعاً يا عزيزي. فالآنسة روجرز محقة، أنت تبدو مرهقاً.

ـ سنلتقي فيما بعد فيليبا.

لم تكن هذه تحية المساء التي ترضيها ولكنها أبقت الابتسامة على شفتيها بينما كان يصعد إلى المصعد ويغلق الباب خلفه. وسارت سيلا نحو الباب الخارجي، فقالت فيليبا بسرعة:

ـ لا لزوم أن توصليني إلى المنزل، سأركب سيارة أجرة.

ـ لن يحب ماريوس هذا، إنه لا يحب أن تذهب النساء دون مرافقة. وعندما ترين المجلات التي ينشرها ستدهشين لأنه قديم الطراز هكذا.

ـ تعنين أنه يبشر بشيء ويعمل عكسه.

وهزّت سيلا رأسها موافقة وركّزت على قيادة السيارة، وسألتها فيليبا:

ـ هل تحبين الحياة في بريطانيا؟

ـ إنها موطني الآن. ولا أتخيل نفسي أعيش في مكان آخر خاصة أنني وماريوس، وتوقفت عن الكلام وسارت السيارة بصمت.

ـ إنه شخص رائع، آنسة روجرز، أدرك أنك تناقشت معه، ولكن من يحبهم...

ـ لديه حس قوي بالعائلة.

ـ تماماً! هذا أحد الأشياء التي عنيتها عندما قلت إنه عتيق الطراز، هو يؤمن ان الوحدة العائلية لها الأهمية الكبرى في المجتمع. اعتقد أن ذلك راجع إلى أنه انحدر من بيت محطم.

ـ لم أعرف بهذا.

ـ لقد اختفى والده عندما كان في الثانية وآرثر في العاشرة، واكتسبت أمه رزقها من تنظيف المكاتب. إنها قصة من النوع الذي تقرئينه ولا تصدقين أنه حصل فعلاً. وحصل آرثر على منحة مدرسية وتبناه فيما بعد رجل دين وزوجته وبقي ماريوس مع أمه وترك المدرسة عندما كان في الرابعة عشرة، وتابع تعليمه في المدارس الليلية عندما كان في العشرينات من عمره.

ـ لقد قرأت هذا الجزء من حياته ولكنني لم أعرف الجزء الأول منها، وهذا يفسر لماذا هو طموح هكذا. ليس هناك من دافع أقوى من رغبة الرجل في اعطاء امه كل الراحة التي لم تحصل عليها وهو طفل.

ـ لقد كان مخلصاً لوالدته، لقد اعتقدت دوماً أن ذلك هو سبب عدم زواجه.

ـ لا يدهشني أن يكون السيد ليون ملتصقاً بأمه.

ـ لم أقصد أنه كان معقداً، لقد عنيت أن هذا ما جعله يبحث عن زوجة لها صفات والدته، ولن يرضى بأقل من ذلك.

ـ ولكن يجب عليه أن يتزوج.

ـ سيفعل ـ قريباً.

واستدار رأسها الأشقر بحدة.

ـ أرجوك إنسي أنني قلت هذا آنسة روجرز. لقد تكلمت معك هكذا أنا... لقد نسيت انك صحفية.

ـ أنا هنا كصديقة لكاتي فقط.

وتطلعت إلى سيلا بدهشة. هل يمكن أن تكون كاذبة؟ هل هي تنشر متعمدة خبر أنها ستتزوج من ماريوس كي تثبت مطلبها هذا؟ وتنهدت فيليبا. الطريقة الوحيدة لمعرفة الحقيقة هي سؤال ماريوس مباشرة، ولكنها لن تفعل ذلك. ومع ذلك فقد فكرت بهذا عندما كانت تستلقي على الفراش فيما بعد. شعورها بالمهانة أزال ثقتها بنفسها وتخبطت في بحر من الذكريات المريرة. وكلمات سيلا تعاودها «ماريوس... وأنا» وصرخت فيليبا بصوت عال «لا» ودفنت رأسها في الوسادة.

ـ يجب أن يكون ماريوس وأنا... ماريوس وأنا!

١١ ـ رجل بلا قلب

أعادت شمس الصباح بعضاً من ثقة فيليبا بنفسها. فأقوال سيلا لها في السيارة لم تكن بنفس الأهمية لما قاله ماريوس عندما كانا لوحدهما، وكانت كلماته هذه هي التي بقيت في ذهنها عندما توجهت الى العمل. وسألتها ساندرا سينكلير، إحدى كاتبات الأخبار:

ـ هل أنت مسرورة من مقالك؟

ـ لم أره بعد.

وفتشت فيليبا عن الجريدة وفتحتها على صفحة الأخبار حيث كانت مقابلتها مع النجمة المتوسطة بالعمر تحتل مكاناً بارزاً فيها. وطالعتها بسرعة وسرت لأن القليل قد اقتطع منها فقط.. وأضافت ساندرا:

ـ واسمك بالخط العريض أيضاً. لو كنت أنا لانتظرت الليل كله لأرى الطبعة الأولى.

ـ لقد نسيت كل شيء عن المقال.

ـ لا بد أنك مغرمة!

ـ أجل..

ـ حقيقة؟ هل هو صحفي أم يعمل عملاً آخر؟

ـ إنه موجود في شارع «فليت»، ولكنك لا تعرفينه، ولن أخبرك عن اسمه. فارجعي الى مكتبك وضعي عينيك الكبيرتين على الة الطباعة!

ـ متى اليوم السعيد؟ أم أنه نوع من الحب لا يقود الى الزواج؟

ـ لا أعلم إذا كان يحبني.

ـ هكذا؟ العديد من اللمسات والحنان ولكن لا شيء فعلي؟

ـ العديد من الأفعال ولكنها لا تقود الى شيء.

ـ يبدو أنه ذكي.

ـ إنه ذكي ومجرب.

ـ إذاً احترسي. ألم يكن متزوجاً؟

ـ له كثير من العلاقات، ولكن لا شيء دائم.

ـ وما يجعلك تظنين أنك مختلفة؟

ـ لا أظن شيئاً، فقط أمل، وأبقي أصابعي متقاطعه.

ورن جرس الهاتف والتقطته بسرعة، وماتت توقعاتها عندما سمعت صوت كاتي، تصر على أن تأتي إليها فوراً.

ـ لا أستطيع فأنا مشغولة.

ـ يجب أن تأتي. ألن سيسافر، كل ذلك بسببك لقد غضب عمي لأنك لم تكوني معنا و..

ـ لقد تحدثت معه وأخبرته السبب.

ـ هل أخبرك ماذا سيفعل؟

ـ بخصوص ماذا؟

ـ بخصوص ألن. سيجبره على السفر الى اوستراليا!

ـ لا تكوني سخيفة. لا يمكن لعمك أن يجبره.

ـ أنت لا تعرفين ماريوس. فهو قادر على إجبار أي كان لعمل أي شيء. أي شيء! فله السلطة ولا يهتم كيف يستخدمها طالما ينفذ ما يريد. إذا سافر ألن.. ضاعت كل حياتي!

وجعلت الدموع من كلماتها صعبة الفهم، مما أرعب فيليبا فوعدتها بالقدوم فوراً لرؤيتها. سرعة التاكسي عبر لندن جعلت من التفكير بصفاء صعباً عليها. وصممت على أن لا تحكم على ماريوس دون أن تسمع الجانب الآخر من القصة منه.

ودخلت بسرعة الردهة الرخامية، وأسرعت الكرسي المتحرك نحوها ومن تجلبس فيها متوترة ومبيضة الوجه. وصرخت كاتي:

ـ لن أدعهم يفرقوني عن الن، سأتبعه أينما كان ولو اضطررت الى السير على يدي وركبتي!

وانفجرت ببكاء عالي الصوت، وجرت فيليبا الكرسي الى غرفة الاستقبال واقفلت الباب. وقالت بلهجة صارمة:

ـ لأجل السماء كفي عن هستيريتك، وقولي لي ما حدث.

ونجحت الحدة، وشرقت كاتي. وتوقفت عن البكاء. وبجمل مرتجفة ولكن مفهومة شرحت ما حدث، جزء منه عرفت به فيليبا.

ـ لقد كان غباء منك أن تأخذيه الى غرفتك.

ـ لقد ذهبنا إلى الغرفة حتى لا ترانا سيبلا عندما تعود. ولكن ماريوس غضب من هذا كثيراً، وغضب منك أيضاً، ولكنك عرفت ذلك، فقد قابلتيه ليلة أمس.

ـ لقد تمالك أعصابه بسرعة. ولم يذكر أية كلمة عن ذهاب الن الى اوستراليا. أنا متأكدة أنه لا يفعل هذا. ولا يستطيع إجبار الن على الرحيل. فقد ولت أيام ضغط العصابات!

ـ إلى جانب من أنت؟

ـ الى جانبك بالطبع، ولكنني لا أصدق ما تقولينه. هل أنت متأكدة أن عمك سيرسل الن بعيداً؟ اعني، لماذا على الن أن يذهب؟ إذا لم يكن راغباً في ذلك.

ـ لأن ماريوس جعله يعتقد أنه سيفعل هذا من أجلي. قال له انني قد لا أتمكن من السير قبل سنوات عديدة، وسأحتاج الى علاج مكلف ورعاية. وقال إذا لم يتوقف الن عن رؤيتي سيطردني؟

ـ لن يفعل هذا أبداً

ـ لقد جعل الن يصدق. لهذا فهو سيسافر الى اوستراليا. ولن يأتي حتى لرؤيتي قبل سفره.

وتحولت الدموع الى سيل، ولم تستطع فيليبا عمل شيء لإيقافها، وشعرت أن غضبها على ماريوس قد ازداد. ولكن كان عليها السيطرة عليه. فعليها أن تعرف كل الوقائع قبل أن تحكم عليه. وتكلمت كاتي مجدداً:

ـ ربما تستطيعين جعل الن يغير رأيه. سأتمكن من السير مرة أخرى! أعرف ذلك. لقد كانت المعالجة الفيزيائية هنا هذا الصباح وهي موافقة معي. انظري استطيع تحريك رجلي!

ونظرت فيليبا الى الرجلين النحيلتين وقد بدأتا تضعفان أكثر بعد شهرين من عدم الحركة. ومع أنها نظرت جيداً فلم تشاهد أي دليل على الحركة. وقالت كاتي بشراسة:

ـ استطيع تحريك العضلات، ضعي يدك على ساقي من الخلف وستشعرين بذلك.

ووضعت فيليبا يدها وشعرت بضربة فجائية من العضلات تحت أصابعها. وتمتمت قائلة:

ـ هذا رائع. ولكن لا يجب أن تتوتر اعصابك. إنها البداية فقط.

ـ ولكنها بداية. هذا ما حاولت أن أقوله. سأصبح زوجة الن مهما قال ماريوس. إنه الفتى الوحيد الذي أحببته.

وبقيت فيليبا مترددة، وعندما رأت كاتي ترددها عاودتها نوبة الغضب، فأسرعت فيليبا للقول:

ـ حسناً ساقابل الن من أجلك. ولكن بعد ذلك سأتحدث مع ماريوس. أين يكون الن الآن؟

ـ في الكراج كما أظن.

بعد ساعة وصلت فيليبا الى العنوان الذي أعطته لها كاتي. ولم تجد أثراً لالن وعندما سألت عنه أبلغها المشرف أنه قد غادر وقال:

ـ ليس لهذه الليلة فقط، لقد ذهب الى الأبد. قال إنه سيسافر الى أوستراليا بعد بضعة أيام.

الحياد الذي حاولت فيليبا أن تحافظ عليه فقد بعض قوته. فلو

استطاع ماريوس أن يدبر سفر الن بهذه السرعة، فقد كان يخطط لهذا منذ زمن طويل. ذلك يعني أنه كان يفكر بهذا حتى عندما وافق على السماح له بلقاء كاتي. وسألت المشرف:

- هل قال لماذا سيسافر؟

- قال إن أمامه فرصه لوظيفة قد تقوده الى السباق، فهو يموت شوقاً للسباق، إنها حياته. هل أنت صديقة له؟

- أنا صديقة الفتاة المخطوبة له.

- لم أعلم أنه خاطب.

- هل استطيع معرفة عنوانه؟ لا أستطيع الاتصال بخطيبته فهي خارج البلد ويجب أن أراه بسرعة.

وقلب الرجل بعض الأوراق على مكتبه، ثم أعطاها ورقة عليها العنوان.

- هاك يا آنسة. اركبي الباص في الخارج وسينزلك على باب بيته تقريباً.

واتبعت التعليمات ووجدت نفسها بعد قليل تقدم نفسها الى صاحبة البيت التي أرشدتها الى حيث تجلس قبل أن تبحث عن الن. وبعد دقيقة دخل، وقد شع وجهه بالسعادة عندما شاهدها. وقال على الفور:

- إذا كنت قد أتيت لتغيري رأيي حول السفر الى اوستراليا، انسي الأمر، فأنا مسافر.

- ولكن لماذا؟ لو كنت تحب كاتي...

- هذا هو السبب! فما هي نوع الحياة التي أستطيع توفيرها لها؟ على الأقل إذا بقيت مع عمها يستطيع اعطاءها ما تحتاج إليه.

- إنها تحتاجك أنت.

- يجب أن تحصل على عناية مناسبة. وكل الأشياء التي لا أقدر أبداً أن أوفرها في شهور.

- لن تبقى دائماً مقعدة. ستتمكن من السير مرة أخرى.

- لن تتمكن من السير! إنها تخدع نفسها.

- تستطيع تحريك عضل ساقيها.

- هذا لا يعني شيئاً. ستبقى في الكرسي المتحرك لسنوات عديدة. قولي لها أن تنساني. لقد كنا مجانين عندما ظننا أننا نستطيع الزواج.

- لقد هربت معها قبل الآن.

- وانظري ماذا حدث لها.

- لهذا السبب ستهرب منها؟ لأنك تلوم نفسك عن الحادث؟

وهز رأسه بالإيجاب وازدادت شفقتها عليه.

- أنا أشعر بالذنب أيضاً. ولكنني لن أتخلى عنها.

- توقفي عن هذا!

وجلس، ودفن رأسه بين يديه، وأخذت كتفاه الرقيقتان تتحركان، ولكن لفترة طويلة لم يتكلم.

- لن ينفع الأمر، لقد صممت رأيي. سأسافر.

- ألن ترى كاتي لتودعها على الأقل.

- الوداع سيزيد الأمر سوءاً. قولي لها إنني أحبها ولكن عليها أن تنساني.

وذهبت فيليبا نحو الباب ووضعت يدها على مقبض القفل والتفتت إليه تسأله:

- هل السيد ليون هو من أوجد لك الوظيفة في اوستراليا.

- نعم.

- هل ضوء الشمس عندك أكثر أهمية من كاتي؟

ولم يرد عليها، وتابعت سيرها الى الخارج.

ووقفت في الشارع مترددة، المقابلة مع ماريوس أصبحت حتمية ومع ذلك فالفكرة كانت منفرة. ولكن كان من المستحيل عليها العودة الى شقتها، فهناك العديد من الأشياء بحاجة الى إيضاح، وحتى يتم توضيحها، لن تعرف راحة البال.

وتوجهت نحو منزل كاتي مرة أخرى، وبمرورها بالمنازل الفخمة فكرت بمرارة بالطرق المختلفة التي تتمكن السلطة من استخدامها للبناء وللتدمير، كما يدمر الآن ماريوس.

وقادها الخادم الى غرفة الاستقبال بعد أن طلبت لقاء سيده. وكان ماريوس يذرع الغرفة، والنظرة على وجهه تدل على أنه كان يقوم بهذا لفترة طويلة. والتفت اليها قائلاً:

ـ لقد كان لدي شعور بأنك ستعودين.

ـ هل تعلم أين كنت؟

ـ اخبرتني كاتي.

ـ لماذا لم تخبرني عن ألن الليلة الماضية؟

ـ لقد تحدثت معه اليوم فقط. وحتى اليوم لم أكن أدري ماذا سأفعل.

ـ هذا كذب! أنت تعرف تماماً ما كان سيحدث. كنت ترغب دائماً في تفريقه عن كاتي. قد تستطيع التظاهر بأنك لم تفعل كسباً للوقت.

ـ لا تحكمي قبل أن تعرفي القصة كلها.

ـ أنا أعرف قدر ما احتاج إليه! كاتي والن يحبان بعضهما و...

ـ ليس هذه النغمة مرة أخرى.

ـ ولماذا لا؟ إنها الحقيقة.

ـ إنها ليست الحقيقة. الن سيذهب الى اوستراليا وكاتي ستنساه.

ـ وإذا لم تنساه؟

ـ ستنساه.

ـ هل كل ذلك لأنك غير قادر أن تحب؟ الآخرون قادرون أن يحبوا!

ـ لم أجبر الن على السفر.

ـ بالتأكيد اجبرته. لقد قلت إنك لن تعتني بكاتي إلا إذا سافر. إذا لم يكن هذا إجباراً، لا أعلم ما هو الإجبار.

ـ أنت سريعة في تصديق كل سوء عني.

ـ أنا أؤمن بالحقيقة. ستتوقف عن رعاية كاتي إذا استمرت علاقتها بالن. ستتركها تبقى مقعدة لمدى الحياة إذا رغبت في الزواج ن شخص لا توافق عليه أنت!

وتقدم ماريوس نحوها وقد أصبح لونه أكثر احمراراً من المعتاد ولمعت عيناه مثل خنجر فضي وصرخ بها:

ـ أنت تستمتعين بتصديق أسوأ ما يقال عني. أليس كذلك؟

ـ أنا أصدق ما يقوله لي قلبي.

ـ ماذا يقول قلبك... أيقول لك انني قد أفعل كل ما اتهمتني به الآن؟

ـ نعم...

ـ وأدار ظهره لها وبقي كذلك لعدة لحظات. وحدقت بسترته ذات الطراز الجميل، وبالشعر الرمادي الكثيف الذي يتدلى على رقبته. وهمت بالإسراع اليه والقول له بأنها لم تعني ما قالته، ولكن إنكار الحقيقة الآن لن يحول دون عودة هذه الحقيقة لتلاحق فيما بعد. وكتفت يديها واجبرت نفسها على البقاء حيث هي..

وأخيراً، وعندما كانت تسأل نفسها عما إذا كان يجب أن تذهب التفت ونظر إليها. وكان هادئاً أكثر من أي وقت شاهدته فيه، ووجهه خال من أي تعبير.

ـ بما أن ابنة أخي لم تعد تقابل الن فلا لزوم لتمثلي دور الوصيفة لها. وإذا لم ترغبي في رؤيتها مرة أخرى...

ـ هل تقول لي انني لا يجب أن أراها؟

وقطب حاجباه الكثيفين الرماديين بحيث كادا يلتقيان وقال ببطء:

ـ لا... فقد تحتاجك في الأشهر القليلة القادمة، وإذا استطعتِ أن تري طريقك بوضوح كصديقة لها... وطالما أنت بعيدة عن طريقي.

ـ لا تقلق لهذا. فأنا كارهة لرؤيتك مرة أخرى بالقدر ذاته الذي تكره فيه رؤيتي.

- في هذه الحالة . . . كاني في غرفتها. أظن أنك تريدين رؤيتها طالما أنت هنا؟

- نعم . . من فضلك.

- أنا متأكد أنكما ستمضيان وقتاً رائعاً في مناقشة نتائج أعمالي.

- لا لزوم للمناقشة حول شخص لا وجود له. فأنت لست انساناً بالنسبة لي، ماريوس، فأنت أحد ملوك الصحافة يملك مطبعة حيث قلبك يجب أن يكون!

- انت لا تزالين مغرمة «بالكليشيهات» فيليبا.

وخرجت وهي غاضبة وصفقت الباب وراءها.

١٢ ـ الزمن يشفي الجراح!

خلال الشهرين التاليين، وصلت أعصاب فيليبا إلى حافة الانهيار. فرغبتها في بناء حياة جديدة لنفسها أطاح بها معرفتها بأنها لا تستطيع التخلي عن كاني، ومع أن لقاءها بالفتاة يجلب ماريوس دوماً إلى أفكارها، فلم تجد طريقة لتجنب هذا اللقاء.

ولم تشاهده منذ خلافهما. لقد تصرف وكأنما هو مؤمن بالحق الكهنوتي للملوك، فلأنه يتمنى الأشياء يجب أن تكون. ولأن الحقد لا يمحي الحب فقد كانت دائماً تحن إليه. ومع أنها تكره حتى التفكير به، فإنها ما زالت مريضة بالحنين لتشعر بلمسته.

وأصبحت نحيلة وشاحبة، ولكن هذا كان يناسبها، إذ يجعلها تبدو كعارضة أزياء، كما قالت لها زميلتها ساندرا سينكلير. وقررت أن تستفيد من الفرصة وتصرف الزيادة التي حصلت عليها في المرتب التي منحها اياها جاك لان لشراء كمية من الثياب الجديدة، كلها أكثر أناقة من التي كانت تستعملها. وغيرت من تصفيفة شعرها أيضاً فقصته إلى حدود أذنيها بحيث أصبح يتموّج على خديها ويبدو كالغيمة عند كل حركة من رأسها. وبدأت بالخروج مع الرجال الذين تقابلهم، ولكن ولا واحد منهم استطاع أن يساعدها في نسيان ماريوس، وعندما تعود إلى شقتها بعد ليلة من العشاء والرقص، كانت ترمي بنفسها على الفراش لتبكي وتتساءل إلى متى ستستمر حاجتها إليه. وكانت تمضي

الساعات تقرأ المقتطفات الصحفية التي تكتب عنه في «المونيتور» لقد ارتبطت به العديد من النساء، لمدة أشهر في بعض الأوقات، وأحياناً لأسابيع قليلة. وجنباً إلى جنب مع شؤونه الغرامية كانت تقرأ عن شؤونه العملية. نجاح يتلوه نجاح وهو ينتقل من كونه ملك للصحافة إلى رجل وطني. وخلال كل هذا بقي مبتسماً بغموض، وشعره الرمادي في الأربعين اكثف مما كان في الثلاثين. وتعمدت أن لا تسمح لكاثي بالحديث عنه، موحية لها بأنها لو فعلت فسوف تنهي صداقتهما. وبسبب الحظر الذي فرضته على الكلام عنه، لم تعلم إلا من شارع «فليت» أن «المونيتور» قد بيعت لمنشورات ليون. وعندما ذهبت يوم الاثنين إلى مكتبها اكتشفت أنها قد عادت مرة أخرى موظفة عند ماريوس.

ودعاها جاك لان إلى مكتبه ليقول لها:

- كل وظائفنا مؤمنة، ومن المحتم أن يجري بعض التغييرات، ولكن الأمر عائد لنا لنتأكد من أن يؤثر ذلك على قسم الأخبار.

وشعرت فيليبا أن فمها أصبح جافاً، لماذا استدعاها جاك لرؤيته؟ هل أمره ماريوس أن يطردها؟ وبما أنه يعلم أنها تكرهه فلن تندهش إذا فعل. وسألها جاك مستفسراً:

- ما رأيك لو توليت أمر صفحة «العزيزة جيسي»؟ لقد اتصل بي كينيدي جونز لتوه ليسألني. فالسيدة هيبرد ذاهبة حتماً، ولقد اقترح الريس الأبيض الكبير هذا بنفسه.

ولم تصدق فيليبا. أمر لا يصدق بأن يقدم ماريوس بنفسه على تقديم اسمها، وتعلم أنه يجب أن يكون هناك سبب منطقي. هل يكون شعوره بالذنب حول صرفها السابق من العمل، أم أنها فقط طريقته لأن يظهر لها كم هي لا تعني شيئاً له؟ والشيء المؤكد أن ذلك يشير إلى أنه لم يعد معارضاً لعملها معه ضمن حرم البناء الذي يتواجد فيه. وقال لها جاك ناصحاً:

- لا ترفضي العرض. أعلم أنك ترغبين في العمل في الأخبار العامة، ولكن إذا كان ليون نفسه قد اقترحك...

- سأتحدث مع كينيدي قبل أن أقرر.

- اذهبي وسوي الأمر الآن. وإذا قررت عدم الموافقة، فكري بعذر جيد!

بعد نصف ساعة كانت في مكتب كينيدي، ورحب بها كصديق طال افتقاده، وأعطاها عقد رسمياً يظهر لها كم سيكون مرتبها الجديد. وألقت نظرة على العقد وسألت:

- لم هذه الزيادة الضخمة؟

- إنها أوامر من الأعلى. لقد علمت أنك صديقة لابنة أخيه.

- أنت تعلم كيف حصل هذا.

- اخبرتني جيسي. كيف يبدو ليون فوق أرضه؟

- لم ألقه منذ أشهر عدة.

ورسمت على شفتيها ابتسامة عريضة، ثم اتجهت نحو الباب وهي تتمتم بأن هناك أمور كثيرة تريد التحدث عنها مع جيسي، وقالت محذرة:

- أنا لا زلت غير واثقة من أنني سأتسلم الصفحة. فلا تعتمد على ذلك إذاً.

- ستكونين بلهاء إذا لم توافقي. إنها فرصة العمر.

وأظهرت لها جيسيكا هيبرد كل العاطفة على الرغم من أنها لم تركز على المسألة، بل علقت على مظهر فيليبا.

- ستنجحين لأن تكوني فتاة الغلاف في مجلة «فوغ» يا عزيزتي، ولكن إذا نحفت أكثر سيستخدمون صورتك على غلاف مجلة «عالم الأرواح»!

وضحكت فيليبا واحتضنت المرأة، متسائلة في نفسها أين ستكون الآن لو أن جيسيكا هيبرد كانت موجودة في مكتبها تلك الليلة. عندما أتت كاثي. ودفعت أفكارها بسرعة:

- إذاً أنت ستتقاعدين أخيراً؟

ـ لو أنك لم تتركي لكنت تقاعدت منذ أشهر طويلة.

ـ لقد طردت. لا تتظاهري أنك نسيت.

ـ أشك في أنني سأنسى أبداً. ولكن على الأقل سيعوض عنها السيد ليون، لا تتركي كبريائك يمنعك من قبول العرض.

ـ إنه ليس كبرياء، فأنا لا أزال أرى كاثي، ولكنني لا أرى السيد ليون، لقد تشاجرنا و..

ـ إذاً دعينا لا نتكلم عنه.

وفتحت السيدة هيبرد أحد الجوارير في مكتبها وأخرجت حزمة كبيرة من الرسائل.

ـ هناك بعض المشاكل المثيرة للاهتمام بين هذه الرسائل، وأظن أنك يجب أن تكتبي عنها عندما تتسلمين أمر الصفحة.

ـ أوه جيسي، لو أن الجميع متفهمون مثلك!

وقررت فيليبا أن تكتب لماريوس رسالة شكر. فقد عرض عليها هذا المركز لأنها صحفية جيدة، ويجب أن تعترف بعمله هذا. ومن الغباء أن تظن أن هناك دافع شخصي وراء ما فعل. ومع ذلك فلو بقيت تعمل في «المونيتور» فإنها ستبقى تعمل له، مع أنه كان عليها أن تعترف أن العودة للعمل في «أخبار اليوم» سيقربه منها أكثر. وكتبت له رسالة مختصرة وأرسلتها. لقد أظهر لها أنه قادر على تفضيل العمل قبل كل شيء، وستظهر له نفس الشيء. وعندما قابلت كاثي أخبرتها عن الوظيفة الجديدة ودهشت بأن الفتاة كانت قد علمت بالأمر مسبقاً. وقاومت رغبتها في أن تعرف ما إذا قال عنها ماريوس شيئاً آخر. فقد تكون كاثي ممن يهتمون بأنفسهم فقط، إلا أنها ترتاب بكل ما يتعلق بعملها، وقد تفسر أي سؤال عنه تفسيراً مختلفاً، لذلك قررت تغيير الموضوع، وقبل أن تفعل تكلمت كاثي:

ـ لقد كانت سيلا تكلمه عنك، لهذا تنصت عليها، فهي لا تحب أن نكون صديقتين. ربما ليست صداقتك لي هي التي تقلقها، ربما ماريوس و...

ـ عمك وأنا لسنا أصدقاء.

ـ أنت تثيرين اهتمامه، الاحظ ذلك من الطريقة التي ينظر بها إليك.

ـ أنت خيالية كما زوجة أبيك، فأنا لم أشاهده منذ أشهر.

ـ منذ أن سافر ألن إلى اوستراليا، لا أزال أحبه يا فيليبا، عدم رؤيتي له لم تجعلني أنساه.

ـ يجب أن تحاولي. على كل لقد سافر لأنه اعتقد أن هذا أفضل لك.

ـ لقد سافر لأن ماريوس أجبره.

ـ لا لزوم لمناقشة الأمر مرة أخرى. فلا تستطيعين تغيير الأوضاع، لذا يجب أن تتعلمي أن تعايشيها.

ـ من يقول أنني لا أستطيع تغيير شيء؟ من يقول أنني لا أستطيع تغيير الوضع؟

ورفعت الغطاء الذي يغطي ساقيها، ثم رفعت الساق الأولى ثم الثانية.

ـ لم أخبر أحداً بالأمر بعد.

ـ منذ متى؟

ـ منذ أكثر من أسبوع. لقد أرادت الآنسة ايفانز أن تقول لماريوس، ولكنني استحلفتها أن تبقي الأمر سراً. تعتقد أنني أرغب في الإنتظار لأفاجئه، وأن أجري إلى الطابق السفلي لأحييه.

ـ ألا تنوين هذا؟

ـ تستطيعين المراهنة على حياتك بأنني لن أفعل. فباللحظة التي أستطيع فيها أن أقف على رجلي، سأذهب إلى ألن، بعد شهر من الآن، وعلى الأكثر شهرين، وسنكون معاً.

ـ هل كتبت لتخبريه؟

ـ لا، لو علم أنني أعرف عنوانه، سيترك سيدني، سأنتظر حتى يرانا بنفسه، حتى تظهر له عيناه أنني لست مقعدة، وأننا لن نحتاج لأموال ماريوس مرة أخرى.

وتساءلت فيليبا فيما إذا كان يجب عليها أن تثني كاتي عن خطتها. وراقبتهاوهي تعيد الغطاء على ساقيها اللتين استعادتا العافية. ولم يكن هناك شك بأن رغبتها في أن تكون مع آلن هي التي دفعتها نحو جهد أكبر لاتباع كل تعليمات المعالجة. ومهما يكون ما سيقوله ماريوس عن آلن فلن يستطيع إنكار الواقع. وسألتها كاتي متلهفة:

- لن تبلغي ماريوس أنني قادرة على السير أليس كذلك؟

- تعرفين أنني لن أفعل. أظن أن عليك اخباره بنفسك.

- لا! أبداً.

- ولم كل هذا العناد؟

وجعلهما صوت أجش أن تلفتا لتشاهدا سيلا وهي آتية إلى غرفة الإستقبال، ومعطفها الفرو الأشقر، يماثل لون شعرها. وقالت مرددة:

- لم كل هذا العناد يا كاتي.

- هذا لا يخصك.

واندفع الدم إلى وجهها الناشف، وقالت:

- في الوقت الذي أبدأ بالتفكير فيه أنك أصبحت راشدة تتصرفين كالأطفال.

- أليس هذا ما ترغبين فيه؟ فطالما بقيت طفلة تستطيعين إجبار ماريوس على إبقائك في المنزل. يتوجب عليك أن تخرجي من هنا وتجدي لك عملاً. فحياة الرخاء تجعلك بدينة.

وتجاهلت سيلا التعليق، ونظرت إلى فيليبا بعطف وقالت:

- لا أعرف كيف تستطيعين تحمل قدومك إلى هنا.

- تحبين أن تبقى بعيداً، أليس كذلك؟ ولكن ذلك لن يساعدك في الحصول على ماريوس بسرعة أكبر. فلن يتزوجك أبداً!

- لا تكوني واثقة هكذا.

ودق الباب، ودخل الخادم ليقول ان السيارة جاهزة. وقالت سيلا باستعلاء الملكة:

- شكراً سأخرج بعد لحظة... ماريوس يقيم عشاء لمديري جريدة «المونيتور» وسأكون أنا المضيفة. هل تدركين ماذا عنيت حول أن لا تكوني كثيرة الثقة؟ فكونك لا تريدين لشيء أن يحصل فليس معناه أن لديك القدرة على منعه.

وذهبت نحو الباب وتوقفت لتنظر إلى فيليبا.

- في احد المرات تمنيت لو أنك تساعدين ابنة زوجي لتصبح شخصية ناضجة، ولكن يبدو أن القضية خاسرة!

وأقفلت الباب وراءها تاركة صمتاً واضحاً. وتمتمت كاتي «كلبة» فقالت فيليبا بلطف:

- وأنت كذلك.

- ظننت أنك لا تحبينها؟

- أنا لا أحبها، ولكن ذلك لا يعني أنني أعتقد أنك على صواب لأن تكوني فظة هكذا.

- ماريوس ليس غبياً بما فيه الكفاية ليقع في حبها.

- إنها وسيمة وجذابة.

- إنها باردة كالثلج وقاسية.

- كذلك هن العديد من النساء اللواتي عرفهن.

- عرفهن نعم ولكن لم يرد الزواج بهن أبداً.

- وكيف تعرفين هذا؟

- لقد أخبرني مرة. قال انه لم يطلب من أية واحدة الزواج منه.

وحاولت فيليبا أن لا يستمر الكلام، لأن الكلام يحضره إلى ذهنها بوضوح حتى يسبب لها ألماً جسدياً. وسألتها كاتي:

- لماذا أنت مقطبة هكذا.

- أحاول أن أتصور عمك متزوجاً. إذا كنت لا تحبين سيلا حقيقة يجب أن تكوني مسرورة بزواجها منه.

- لماذا؟

- لأنه سيعطيها حياة نتنة. فهو طاغية ومستبد و...

ـ لا تكوني سخيفة، سيكون زوجاً رائعاً.

ـ ويكفل لزوجته أن تكون عبدة له!

ـ لا تصدقي هذا! قد يكون قاسياً في الظاهر ولكنه فارغ من الداخل.

ـ هل أنت متأكدة أننا نتكلم عن نفس الشخص؟ فأنا أتكلم عن الرجل الذي كنت تتكلمين عنه بعنف منذ لحظات.

ـ أكره ماريوس عندما أفكر بآلن فقط.

اعترفت كاتي بهذا، ودفعت كرسيها إلى الزاوية البعيدة من الغرفة. وتوقفت قرب الطاولة، وأمسكتها بعنف، وبدأت تشد نفسها صعوداً. وبقلب يدق بعنف راقبتها فيليبا وهي تقف ببطء على رجليها. وتحركت رجلها النحيلة على الأرض، وتبعتها بعد لحظة الأخرى، ثم بدأتا معاً بالتحرك إلى الأمام بخطوات غير ثابتة ومتثاقلة. وقالت كاتي بانتصار:

ـ أترين! أستطيع أن أسير!

وأعمت الدموع رؤية فيليبا، وركضت وحضنت الفتاة الصغيرة وقالت متوسلة:

ـ كوني حذرة! لا تفعلي شيئاً سخيفاً.

ـ أعرف تماماً ما أفعل. لقد وضعت كل خططي.

وتراجعت فيليبا وسألتها بحذر:

ـ هل تحبين أن تقولي لي عنها؟

ـ ليس بعد. انتظري حتى أتمكن من السير جيداً. عند ذلك ستعرفين.

عندما التقت فيليبا بكاتي مرة أخرى، لم تشر إلى حالتها الجسدية. وتمنعت عن أن تبدأ بحديث قد يجر إلى ذكر ماريوس وآلن. وأبقت فيليبا كل الحديث عن عملها. فقد تحولت صفحة «العزيزة جيسي» إلى صحفة جديدة دعيت «المناظرة»، ووجدت فيليبا نفسها تدعى للتحدث في المدارس، والمؤسسات النسائية، وفي الندوات التلفزيونية. عدة مرات عرفت أن صغر سنها ومظهرها الفاتن سبّب الدهشة، ولكن

عندما تبدأ الكلام، تتمكن من فرض الإحترام لها، وبعد العشرات من المحاضرات الناجحة، أصبحت الثقة التي اكتسبتها في السابق، واقعاً. خوفها الأساسي من أن تقابل ماريوس صدفة في المكتب تلاشى، ولم تعد تنظر حولها بقلق كلما سارت عبر قاعة الاستقبال نحو المصعد، أو اثناء سيرها في الممرات الطويلة أثناء تنقلها من مكتب إلى آخر.

عند قدوم الميلاد، عاد للطواف بكثرة في أفكارها، لأنه كان دائماً يقيم للمحررين الرئيسيين حفلة، وكما توقعت، تسلمت الدعوة. وعلمت أنها قد تسبب التعليقات إذا لم تحضر، ففكرت أن تأخذ إجازة لبضعة أيام قبل الحفلة وتتظاهر بأنها مريضة. إنها طريقة سهلة للتخلص ولكنها مليئة بالجبن، وقررت أن تختبر نفسها لتبرهن أنها قد تجاوزته، وأعادت بطاقة الدعوة مع الموافقة.

وفي جلسة على الغداء، قبل الحفلة ببضعة أيام، أبلغها روبن سومرز، رئيس تحرير الأخبار في الصحيفة، أن مثل هذه الحفلات لا تنتهي عادة قبل منتصف الليل. وروبن كان أصغر رجل يتسلم مثل هذه الوظيفة، وكانت فيليبا قد التقت به عند عودتها إلى «أخبار اليوم» وشكلا فوراً صداقة بريئة. مؤخراً أبدى رغبته في تطوير علاقتهما ولكن عندما لم يتلقى جواباً لم يتابع. هناك شيء جيد حول الحصول على صديق له وظيفة تتطلب الجهد: فهي تمتص الكثير من قواه ولا تترك له الكثير من الوقت. الفكرة هذه جعلتها تبتسم، مع أنها لم تفكر بأن يصبحا مقربين حتى يذكر هو ذلك.

ـ هل ترغبين في مشاركتي النكتة يا جيسي؟

كان هذا الاسم المفضل لديه الذي يدعوها به، ويستخدمه عندما يريد أن يداعبها.

ـ إنها ليست نكتة، لقد كنت أفكر كم أنا محظوظة بمعرفتك.

ـ أرغب في معرفتك أكثر قليلاً، هل لا تزالين مصممة أن تبقي فتاة لديها مهنة وعازبة؟

- من يسافر وحيداً - يصل بسرعة.

- يستطيع أيضاً أن يضم جهوده في نهاية أسبوع من وقت الى آخر.

- اطلب مني هذا بعد ستة أشهر، هذا إذا لم تجد شخصاً آخر حتى ذلك الوقت. وانحنى عبر الطاولة وقد أصبح وجهه ساخراً.

- لن أجد شخصاً آخر. لا تنسي أنك ستحضرين الحفلة معي. في أي وقت أمر لاصطحبك.

- في وقت متأخر قدر المستطاع.

ولو أنه اندهش من ملاحظتها هذه، فإنه لم يظهر ذلك، مع أنها ندمت على قولها فوراً، لأنه من الصعب عليها أن تفسر رغبتها في الوصول الى الحفلة عندما تكون في أوجها لتفوت فرصة المخاطرة بالتحدث مع ماريوس عندما يجول في الغرفة.

ولكن روبن لم ينسَ ما قالته، وفي ليلة الحفلة لم يتصل بها قبل الثامنة. النظرة التي ظهرت على وجهه عندما فتحت الباب له، أعلمتها أن المال الذي صرفته على ثوبها كله يستحق كل قرش. وأحاطت بها الثقة بالنفس وهي تركب معه سيارته الرياضية الحمراء الصغيرة. وقالت مداعبة:

- رئيس تحرير الأخبار، يجب أن يركب سيارة أكثر احتراماً.

- أهذه ملاحظة تأتي من فتاة ترتدي ثوباً ليس له جزء أعلى.

- انه ليس دون جزء أعلى. هل هو كذلك؟

ونظرت الى حمالات الرقبة في الثوب.

- لن أسمح لك أن ترفعيه مليمتر واحد. فأنت تبدين مدهشة. لم أشاهدك في ثوب أسود من قبل.

وجذب يدها الى شفتيه وأحست برعدة تغمرها، مع أنه ليس الرجل الذي ترغب فيه، بل الرجل هو من كانت تلبس من أجله هذا الثوب من الشيفون الأسود، ووصلا الى فندق «السافواي» ودخلا قاعة الاحتفالات الخاصة، وكان قلبها يدق بعنف بين ضلوعها بحيث أنها لم

تسمع ما قيل لها وقبلت كأساً من الشراب قدمه روبن وتظاهرت بالمرح. ولم يلاحظ أحد شيئاً مريباً في تصرفاتها. بينما كانا يتنقلان من مجموعة الى أخرى ممن يعرفانهم. واقترح روبن أن يبحثا عن المكان الذي سيجلسان فيه على طاولة العشاء. وكانت جد مضطربة لتركز على البحث عن اسمها، فتركت روبن يقوم بالعمل وراقبته وهو ينظر الى اللائحة. وكان وسيماً وكأنه نسخة كبيرة من آلن، ولكنه يبدو أقوى، وشعره كان بنفس اللون الأشقر، وله نفس الطباع الهادئة.

- إننا على تماماً الطاولة الرئيسية. على مسافة قصيرة من اللورد العالي المقام الرئيس نفسه.

واهتز الكأس في يدها وانسكب منه الشراب. فأمسك روبن بالكأس وقال:

- انتبهي!

- لقد انزلق من يدي، من الأفضل أن لا أشرب قبل الأكل.

كانت نظرته متفحصة، ولكن لم يعلق، وشعرت بالامتنان له. لقد كان يعلم أنها صديقة لكاتي وانها تذهب كل أسبوع الى منزل ماريوس، ومع ذلك فلم يسألها أبداً عن الأمر، ولا عن الاشاعات التي أحاطت بعودتها من «المونيتور» وهمس لها:

- لا تلتفتي الآن! وإلا ستدوسين على ذنب الأسد!

وجمدت فيليبا مثل الجثة، ولكن لم يتغير التعبير على وجهها. ومع ذلك فلم تقدر على الكلام حتى ولو اعتمدت حياتها عليه. وسمعت صوتاً عميقاً يقول.

- مرحباً روبن. لقد كان مقالاً ممتازاً الذي كتبته في الجريدة أمس. لقد قصدت أن أتصل بك وأهنئك، ولكنني كنت أعرف أنني سألتقيك الليلة.

- أنا سعيد لأن المقال أعجبك، سيدي.

وأمسك بذراع فيليبا، وكانت يده تحت ذراعها دافئة وثابتة وهو يحاول أن يديرها بلطف، ولكن بقوة لتواجه ماريوس. وتركزت عينا

فيليبا على المنظر العريض لصدر القميص ثم دون مقاومة سافرتا صعوداً الى الفم الواسع الرقيق. وقال ماريوس:

ـ مساء الخير فيليبا. هل أحببت رجوعك الى «أخبار اليوم»؟

ـ كل الصحف تتشابه.

هل هذا هو صوتها؟ تساءلت بقنوط، هل هذا هو صوتي المرتجف؟ ورد عليها:

ـ إذاً فحبر الطباعة لم يجر في عروقك بعد. فالصحافي الحقيقي يذهب الى المشنقة من أجل الصحيفة التي يعمل لها!

ـ ربما كانت النساء أبطأ في بناء الاخلاص.

واغتبطت من قدرتها على الرد بذكاء، ولكنها تنفست الصعداء عندما انضم اليهم رجلان آخران، أحدهما تحدث مع روبن والآخر مع ماريوس، مما تركها حرة مع أفكارها. ولكنها لاحظت أن ماريوس لم يعد يتحدث مع أحد واقترب ليقف الى جانبها. وسألها بصوت خفيض بحيث تسمع هي فقط:

ـ كيف أنت؟

ـ أعمل بجد.

وتطلعت الى القبة الدقيقة البيضاء حول عنقه. كانت واسعة قليلاً وعرفت أنه يتعمد أن تكون واسعة، فبالرغم عن الموضة، ماريوس لم يكن رجلاً لا يسمح لنفسه أن يكون مقيداً.

ـ أنت لا تزالين تأتين الى المنزل.

ـ لم تأمرني بعد أن لا أفعل.

وصرّ على فكيه ولكنه عندما تكلم لم يظهر عليه الغضب.

ـ اعطي كاتي الوقت الكافي وستنسى ألن.

ولم تقل فيليبا شيئاً، وبقي ماريوس ساكتاً. ونظرت الى روبن ووجدت أنه لا يزال مستغرقاً بالحديث. وتنفست نفساً عميقاً وقد لاحظت أن ماريوس قد خفض رأسه، وشعرت، أكثر مما شاهدت، أن

عينيه قد تسمرتا على فتحة صدر ثوبها. وتمنت يائسة لو أن تلك المليمترات الزائدة كانت موجودة.

ـ أنت تبدين جميلة بشكل خاص هذه الليلة.

وعندها رفعت عيناها نحو عينيه. وكانت صدمة أن تنظر اليهما وترى نفسها انعكست عليهما، وشعرت وكأنها تغرق في أعماقهما. وبجهد، سحبت عيناها بعيداً عنه.

ـ أنت مؤدبة الآن أكثر من آخر مرة التقينا.

ـ كنت غاضبة منك.

ـ والآن؟

ـ الزمن يشفي كل الجروح.

ـ هل يعني هذا أنك غفرت لي؟

ـ هذا يعني أنني فهمت لماذا كنت غاضباً. كان غباء مني أن أتوقع منك فهمي، فنحن من جيلين مختلفين.

ومن فوق كتفه شاهدت سيلا قادمة نحوهما والغضب يعتريها فقالت له:

ـ أرى أن أمي تقترب منا.

ـ أمك؟

ـ حسناً من الممكن أن تكون، فهي من نفس جيلك.

هذه المرة أصبح فحيح أنفاسه مسموعاً، واستدار عندما وصلت سيلا الى جانبه. وقالت سيلا بصوت مرتعش:

ـ مرحباً فيليبا، لم أكن متأكدة أنك أنت. فأنت تبدين أنيقة جداً، أليس كذلك يا عزيزي؟

والتفتت الى ماريوس، الذي نظر مرة أخرى إلى فيليبا وقال:

ـ لا يغرنك المظهر. فإنها لا تزال طفلة مثل كاتي.

ومرة أخرى تطلعت فيليبا نحو روبن، وكأنما لاحظ ضيقها فتحرك نحوها ووضع ذراعه حول خصرها، في نفس الوقت الذي صافح فيه

سيلا التي كان يلتقيها لأول مرة، فقالت له بدلال:

ـ لقد أخبرني ماريوس كم أنت ذكي. أم أن هذا ليس دبلوماسية مني لأقوله؟

وابتسم روبن:

ـ من الدبلوماسية دائماً قول الأشياء اللطيفة للناس، فهذا ما يعنيه التقرب: حك متبادل للظهر دون اظهار المخالب!

ـ لقد حان الوقت لبعض حك الظهر مع الناس الآخرين.

قال ماريوس هذا بصوت متراخ ووضع يده تحت ذراع سيلا وتحرك نحو مجموعة أخرى. فتمم روبن:

ـ هذا يجعلني حراً لباقي الأمسية. نستطيع الآن ان نمتع أنفسنا.

ودت فيليبا لو أنها تستطيع الموافقة على هذه الملاحظة، وعرفت أنها قد أخطأت اذ اعتقدت أنها ستكابر على نفسها خلال هذه الليلة. فكم كانت غبية لتعتقد أن رؤيتها لماريوس مرة أخرى سيجعلها تدرك أنها لم تحبه. النظرة الأولى له أخبرتها عن مدى البلاهة لمثل هذا الأمل. فسيبقى جزءاً من حياتها شاءت أم أبت. والتفتت الى روبن مبتسمة وقالت مقترحة:

ـ لنذهب الى طاولتنا. ونتجنب الزحام.

وتبعته نحو الطاولة، وكان آخرون قد بدأوا يفعلون مثلها. وخلال بضع لحظات جلس ماريوس ورؤساء التحرير الآخرين على الطاولة الرئيسية. ومن سوء الصدف أنه كان يجلس في مقابلها تماماً، وما كان عليها سوى أن ترفع عيناها عن صحنها لتنظر مباشرة الى وجهه. وعندما فعلت هذا للمرة الأولى التقت نظراتهما، ومنذ تلك اللحظة أصبحت حريصة أن لا تنظر في اتجاهه، مركزة انتباهها على روبن.

وأخيراً انتهى العشاء وألقيت الخطابات وبدأ الرقص، وافتتحه ماريوس وسيلا وتبعهما رؤساء التحرير وزوجاتهم. ونزلت الى حلبة الرقص مع روبن. وأغمضت عينيها وهي بين ذراعيه حالمةً بأن

الذراعين لشخص آخر. وتوقفت الموسيقى ودوى تصفيق الاستحسان، ثم بدأت موسيقى من نوع آخر ناعمة وبطيئة. واتجه روبن ليمسكها مرة أخرى ولكن يداً بثياب سوداء امتدت بينهما، وعلمت فيليبا بشيء يشبه القنوط ما سيجري.

ـ صاحب الملك له الامتياز.

قالها ماريوس بسهولة، واجتذب فيليبا مبتعداً.

ـ لا أريد الرقص معك.

ـ أفضل المرأة الرافضة. أم أنك لا تحبين أن تتذكري آخر مرة أمسكتك بها؟

وأدهشتها قساوته، ولكنها رفضت أن تظهر له كم يؤذيها.

ـ انك تضيع الوقت في تذكر أشياء انتهت.

ـ لا أظن أننا انتهينا. لطالما ندمت، ألم تندمي؟

ـ قد تكون قصة لطيفة أرويها لأطفالي. فمن الرائع دائماً أن يتباهى المرء بأنه كان له علاقة مع رئيسه.

ـ لم يفت الوقت بعد.

تراجعت بنفسها من بين ذراعيه ورفعت رأسها لتنظر اليه. كان فمه ثابت في خط مستقيم وهناك شيء شرير في عينيه.

ـ لماذا تحاول ايذائي يا ماريوس؟

وطافت عيناه بها وكأنما تزيلان الثوب عنها. وشعرت أنها أصبحت دافئة تحت تأثير نظرته. ففي هذه الغرفة المكتظة، وتحت هذه الأضواء المشعة والموسيقى الصاخبة، لا زالا وكأن لهما عالمهما الخاص.

ـ النساء الشابات الجميلات يثرن اهتمامي دائماً. خاصة إذا بقين يتحدينني.

ـ هل كان استحواذك لي سيساعدك؟

ـ هل هذا عرض؟

وسحبت نفساً مرتجفاً، وفي تلك اللحظة مر بهما روبن وهو يراقص سيلا، فقالت:

ـ بالطبع لا، فأنا مخطوبة لروبن.

ولم يحصل تغيير في وجه ماريوس، ومع ذلك شعرت بالرعشة في يديه وعلمت أنها قد فاجأته.

ـ انه رجل محظوظ.

ـ وأنا محظوظة أيضاً. إنه الشخص المناسب الذي كنت أبحث عنه. على الأرجح سيطلب مني التوقف عن العمل لذلك يجب عليك أن تجد شخصاً آخر يدير صفحة «المناظرة».

ـ لا أستطيع تصورك كسيدة منزل.

ـ أريد انجاب أطفال، العديد من الأطفال. يجب عليك أن تتزوج أيضاً يا ماريوس، أو فستصبح كبيراً جداً في السن.

ـ المهم هو عمر الأم، وسيلا في الثالثة والثلاثين فقط.

ـ متى اليوم السعيد؟

ـ هذا ما كنت أريد التحدث عنه.

وتوقفت عن الرقص، وابتدأت بالحديث بينما كان يقربها إليه.

ـ ما شأني بالأمر؟

ـ أريد ارسال كاتي في رحلة بحرية فهي دائمة الشجار مع سيلا وكلما كان تفريقهما أسرع كان ذلك أفضل.

ـ أظن أنك ستتزوج أثناء غياب كاتي؟

ـ نعم، ولكنني أقدر لك عدم ذكر هذا لأي كان.

ـ ولا حتى لكاتي؟

ـ ولا لأحد. لقد حجزت لها جناحاً على الباخرة «تانجبرغ كاسل» لرحلة الى افريقيا الجنوبية وستستغرق الرحلة ستة أسابيع تقريباً. كنت آمل أن تذهبي معها.

ـ أنا؟

ـ لم أعرف أنك مخطوبة لروبن. ولكنني أكيد أنه يستغني عنك لبعض الوقت.

ـ لا.. لن يحب الفكرة أبداً.

ـ سأتحدث معه.

ـ لا: الأمر يختلف، أنا لا أريد الذهاب.

وصمت للحظات ثم قال أخيراً:

ـ كاتي بحاجة اليك، ولن تذهب إلا إذا ذهبت.

ـ لا أستطيع الحياة وأنا متعلقة بكاتي، ليس من العدل أن تتوقع مني هذا.

وأغمضت عيناها، مخمنة ماذا سيقول لو علم أنها انما تعارض لمعرفتها أنه سيتزوج امرأة أخرى في غيابها.

ـ لدي حياتي الخاصة لأحياها.

ـ لن تحتاجك سوى كصديقة عادية. لقد بدأت تستعيد الاحساس بساقيها. وفي بضعة أشهر ستتمكن من السير. لا تستطيع كاتي اخفاء سر عني، فهي تعتقد أنني لا أعلم، كلاكما تعاملاني كغبي.

ـ انها تريد أن تفاجئك.

ـ الهذا لم تبلغني؟

ـ نعم، تريد الانتظار حتى تستطيع نزول السلالم راكضة لتحيتك.

وكأنما انزاح ثقل عن كتفيه، وأرجع رأسه الى الوراء ضاحكاً.

ـ كان يجب أن أخمن هذا. عقول النساء تعمل بطريقة غريبة.. بالنسبة للرحلة.. أرجو أن تعيدي التفكير بها.

ـ سأفعل، ولكنني لا أعدك.

وتوقفت الموسيقى وشعرت بالراحة لرؤية روبن يتقدم نحوهما فصرخت «عزيزي» ومدت له يداها وهي تدرك أن ماريوس يراقبها وهي تدخل ضمن دائرة ذراعي روبن. والتفتت معتذرة:

ـ أظن أن جو الحفلة أصابني بالصداع، أعتذر فأنا مضطرة للذهاب.

وعندما خرجت هي وروبن قال لها وهما في السيارة، وكأنه يتساءل عن أحوال الطقس.

- أنت تحبين ماريوس ليون أليس كذلك؟ لقد شككت بالأمر دوماً، ولكنني الليلة أصبحت واثقاً.

- نعم.. أحبه.

- يا عزيزتي المسكينة، هل هناك شيء أستطيعه للمساعدة؟

- لا يستطيع أحد مساعدتي. سأتجاوز محنتي مع الوقت لقد قال ماريوس مرة انني أستخدم الكثير من «الكليشيهات»، وهذا صحيح، فأنا أفكر بواحدة الآن.

- مثل قول «الزمن يشفي كل الجروح» أجل يا عزيزتي هذا صحيح.

١٣. لو كنت أستطيع!

رؤية ماريوس مرة أخرى أحيا كل حب فيليبا له، وتوالت الليالي دون رقاد، مما سبب لها الهزال والشحوب أكثر. وقال لها روبن في إحدى الأمسيات عندما أتى إلى مكتبها لاصطحابها إلى العشاء:

- إذا خسرت وزناً بعد، ستختفين من الوجود. ربما يجب أن تذهبي في تلك الرحلة.

وصرخت وقد انفجرت بالبكاء.

- لو أن الأمر متعلق بتلك الرحلة فقط.

- هاي.. أنت، لم كل هذا؟ اخبريني بالأمر.

ونظرت إليه بابتسامة وهي تحاول استبعاد دموعها. ولكنه لم يحاول أن يشجعها أن تثق به. وكان صمته بطريقة ما مريحاً ووجهه ملىء بالاهتمام بها. وقررت أن تضع ثقتها به. قد لا يكون قادراً على تغيير الوضع، ولكن اخباره قد يجعلها تشعر أن معها حليف على الأقل.

وبدأت الحديث، وتدفقت الكلمات، وتكلمت عن كاتي وعن محاولة الهرب السابقة، والحادثة والتهديد الذي استخدمه ماريوس ليجعل آلن يسافر، وروت القصة كلها.

- هل لا يزال هذا يقلقك؟

- لا في الحقيقة، ولكنني غير قادرة على التخلي عن كاتي، سيبدو الأمر هروباً.

- وقد يعتبر السيد ليون ذلك عدم اخلاص له.
- لا يستحق اخلاصي، فأنا أكره ماريوس لما فعله.
- كرهه شيء والتآمر مع كاتي شيء آخر.
- ماذا أستطيع أن أفعل؟
- لست متأكداً. احب أن التقي بكاتي، لماذا لا نذهب هناك هذه الليلة؟ هل لديك ساعات محددة لزيارتها؟
- بالطبع لا.. ولكنني أذهب عادة في يوم معين.
- كوني شيطانة واستفيدي من الفرصة، وساكون معك.
- حسناً.. أشعر بتحسن الآن وقد أخبرتك القصة كلها. لو أنني فعلت هذا من قبل!
- وأنا أيضاً.. كان من الممكن أن امنعك من أن تبدين كالهيكل العظمي.
- هل أنا بهذا السوء؟
- انك هيكل عظمي مثير.
- توقف عن المديح!

وتأبطت ذراعه وخرجا من المكتب. وسألته بعد العشاء عندما كانا يتوجهان لرؤية كاتي إذا كان لديه خطة ما.

- سأقول انني أعرف ماذا تنوي فعله، وأتظاهر أنني أقف إلى جانبها.
- وبعد ذلك؟
- لا أعرف، هناك شيء واحد واثق منه، أن السيد ليون لم يتصرف بالطريقة التي فهمتها أنت. فإذا كان يعتقد أن ابنة أخيه تحب آلن حقيقة، فلن يفعل شيئاً سيء إليها.
- انه رجل مستبد ويرغب في تنفيذ طريقته.

كانت فيليبا قد اتصلت بكاتي لتعلمها بقدومها فانتظرتها في غرفة الجلوس وهي ما زالت في كرسيها. وراقبتها وهي تلعب دور المضيفة، لقد كانت ساحرة ولو أعطيت فرصة أطول ستكون شخصيتها رائعة. وبدا أن روبن يفكر بنفس الطريقة أيضاً، لأنه خلال دقائق أصبح

يتحدث معها وكأنهما يعرفان بعضهما منذ سنوات. وتطرق إلى موضوع آلن بالقول انه يحب سباق السيارات وانه رأى آلن عدة مرات في حلبة السباق. وهذا ما جعل كاتي اكثر ميلاً إليه. وعندما حاول مع فيليبا الذهاب توسلت إليه ليعود لرؤيتها مرة أخرى. وعلق على ذلك وهما في السيارة:

- إنها فتاة حلوة.
- ربما تفهم الآن لماذا لا أستطيع القول لماريوس عما تخططه. سأبدو كالوحش إذا فعلت.
- من المؤسف أنني لا أستطيع رؤية صديقها. لكنت كونت فكرة عن سبب كره السيد ليون له.
- قلت لك لماذا فهو يظن أنه يجري خلف مالها.
- هل تظنين ذلك؟
- لا أعرف، من الأفضل أن أعطيه أفضلية الشك، وهذا شيء لا يفعله ماريوس. هل لديك خطة ما؟ فمن أجل هذا قابلتها.
- شيء ما بدأ يتضح. ولكن سأحتفظ به لنفسي لبعض الوقت. هل تمانعين؟
- أبداً، شرط أن لا تبلغ ماريوس بما يجري.
- لست بأفعى متسللة.

واستمرت مقابلاتهم، وعند الزيارة الرابعة شعرت فيليبا بنفسها أنها متطفلة، لأنهما لم يحاولا إشراكها في حديثهما أثناء نقاش عميق حول الشعر والثقافة. وصدمت بالتوافق السريع بينهما وتمنت لو أنها جلبت روبن إلى هنا من قبل.

احساس بهواء مفاجيء جعلها تستدير، وقد قفز قلبها إلى حلقها، ولكن ضرباته انخفضت عندما شاهدت سيلا. ولبرهة نظرت المرأة إلى روبن باستغراب، بعد ذلك تذكرته، وبعد أن حيته بدفء غير متوقع، جلست بالقرب من فيليبا.

ـ هل هو آخر رجل في حياتك؟

وهزت فيليبا رأسها بالموافقة. كانت تميل إلى الكذب. فأمام ما قالته لماريوس ليلة الحفلة، لم تكن قادرة الآن على قول الحقيقة.

ـ يبدو أن أجراس الزفاف تدق في الهواء.

ـ أعرف. أحب أن.. أهنئك. ماريوس أخبرني عن خطبتكما. وطلب أن لا أقول شيئاً لكاتي. بالطبع.

ـ هكذا إذاً.. متى أخبرك؟

ـ في الحفلة.

ـ وهل ساءك هذا؟

ـ ولماذا أستاء؟

ـ لأنني أعرف كيف تشعرين نحوه. لقد جعلت الأمر واضحاً.

واحمرت وجنتا فيليبا وأدارت رأسها. لتكون غير محبوبة من سيلا فهذا أمر تحتمله، أما الشفقة فإنها لا تحتمل.

ـ لأنك فقط تحبين ماريوس، فلا تعتقدي أن كل امرأة ترغب فيه.

ـ ولكنك ترغبين فيه، لا لزوم للإدعاء معي.

وجاهدت فيليبا، لتسيطر على نفسها. وساعدتها الكبرياء لتربح المعركة، وأجبرت نفسها على الابتسام وهي تقول:

ـ ماريوس رجل جذاب ومشهور. وليس من العجب أن يرضي غروري اهتمامه بي، ولكنني لم أفكر أبداً بالزواج، فهو كبير بالسن بالنسبة لي.

ـ حسناً، إذا كان هذا رأيك.

وأتى الرد بلهجة غير مصدقة ووقفت سيلا، وذهبت، وأحست فيليبا بالتأثر، ولم تستطع أن تبقى حيث هي، ونهضت بدورها معتذرة، مع علمها أن كاتي وروبن لم يسمعاها.

ـ سأخرج لتنشق بعض الهواء.

ووقفت عند باب المدخل تتمتع بالهواء البارد فوق بشرتها. وارتجفت

عندما لاحظت سيارة ماريوس الرولز، وراقبته وهو يخرج منها. كان التعب يبدو عليه بشكل لم تره منذ أن عاد من أوستراليا. ولم يبدو كذلك سعيداً، ولن يعتقد أي انسان أنه يخطط للزواج. ربما كان مرد تعبه إلى العمل الزائد وجهوده لتسوية بعض الأمور قبل رحلة شهر العسل. وغضبت من أفكارها لأنها لا تهتم بما يفعله في حياته. وعادت لتدخل البيت ولكنه شاهدها وأسرع صاعداً الدرج.

ـ أنت لا تزورين كاتي عادة يوم الجمعة، هل هناك شيء؟

ـ لا ولكن روبن رغب في رؤيتها، وهذه الليلة الوحيدة التي يستطيع أن يراها فيها.

ـ أتعنين أنه هنا معك؟

ـ طبعاً، فأين سيكون إذاً؟

ـ هل توافقت معه حول الرحلة؟

وهزت رأسها بالإيجاب ودخلت الردهة، وخلع ماريوس معطفه وألقاه على كرسي.

ـ في أية غرفة أنتم؟

وأشارت إلى غرفة الجلوس الصغيرة، ولكنه اتجه إلى غرفة الاستقبال. وانضمت فيليبا إلى كاتي وروبن وقالت كاتي لها وهي تدخل:

ـ من المؤسف أن لا تستطيعي القدوم معنا إلى أوستراليا، سنكون رباعياً رائعاً.

وقال روبن:

ـ أظن أن فيليبا لا تستطيع تحمل أن تكوّن رباعية مع آلن.

وحدقت به كاتي واحمرّت.

ـ أنت تعلم أنني لم أقصد هذا صدقاً، روبن أنا...

ـ أنت لم تكوني صادقة منذ سنوات، فقد ولدت كاذبة، حتى على نفسك.

وصعد غضب كاتي، ودائماً يكون مستعداً للتصاعد.

- ان ما تقوله شيء بغيض.

- سأعدل كلمة «كاذبة» إلى كلمة «ممثلة» فأنت تحبين الدراما والناس ينظرون إليك بجد.

- كم تتقاضى أجر هذا التحليل؟

- قبلة.

وانحنى وطبع قبلة على رأسها وعندما استقام نظرت كاتي نظرة متسائلة إلى فيليبا. فأسرعت إلى القول:

- لا تهتمي بي، فروين وأنا أصدقاء، وأنا أعني أصدقاء! فأهلاً وسهلاً بك معه.

- أنا أحب آلن، فإذا كنت تظن أن من التسلية العبث معي...

وقاطعها روبن:

- إنها أكثر من تسلية، إنها بهجة!

- إذا لمستني ثانية سأصرخ!

- إذا صرخت ودخل عمك، سأخبره عن خطتك الصغيرة الملعونة.

- لن تجرؤ على ذلك.

- جربيني، أنت فتاة صغيرة محبية، وعندما تكبرين وتتخلصين من حبك الطفولي لآلن، سأكون بانتظارك.

والتفت إلى فيليبا وغمز بعينه قائلاً:

- لنذهب.

- ولا تعد!

- إذا لم آت، فيليبا لن تأتي، ولن تتمكني من تدبير أمرك من دونها إذا كنت ستذهبين في رحلتك المفترضة.

- أنت حيوان!

- لهذا تحبني النساء.

وأسرع بجر فيليبا خارج الغرفة بينما كانت كاتي تستدير بكرسيها لتفتش عن شيء تقذفه به. وعندما أصبحا لوحدهما قالت فيليبا:

- افترض أن لديك خطة من وراء هذا الجنون.

- كنت أمتحن مدى استجابتها للمغازلة.

- وماذا وجدت؟

- وجدتها متجاوبة مدهشة لفتاة من المفروض أن تكون تحب شخصاً آخر.

- إنها بحاجة للعواطف، لا تسيء الحكم على تجاوبها.

- أنا لا أسيء الحكم، لو لم يكن السيد ليون عنيداً هكذا لتجاوزت كاتي حب آلن منذ زمن طويل. ولأنها أعند من عمها لم ترغب حتى بالاعتراف لنفسها أنها ممكن أن تغير رأيها.

كان هناك شيء من الحقيقة في كلام روبن، فقد لاحظت تجاوب كاتي معه وتغير تصرفاتها في الأسبوعين الماضيين. ومع ذلك فلا تزال مصرة على الذهاب إلى أوستراليا فقد اشترت التذكرة وأعدت الخطة. وعندما ذكرته فيليبا بهذا أجابها:

- لا يزال أمامنا عشرة أيام. ومن الممكن حدوث الكثير في هذا الوقت ولدي بعض الخطط أيضاً.

- أتمنى أن تخبرني ما هي.

- سأفعل عندما أعود.

- أين أنت ذاهب؟

- في مهمة. وسأغيب عدة أيام. سأذهب غداً.

- سأفتقدك.

وعندما ودعت فيليبا روبن ودخلت إلى شقتها، أدركت أنها كانت تعني ملاحظتها الأخيرة. فلن تقدر على حب روبن أبداً، ولكن على الأقل عندما تكون معه تنسى ماريوس. التفكير في كل الحيل التي تكمن لها ملأها بالخوف! الإدعاء بأنهما ذاهبتان للبقاء في السفينة، والركض الجنوني إلى المطار عندما تصلان إلى ميناء «الهافر»، ومن ثم الرحلة الطويلة إلى اوستراليا ومع ذلك كانت كاتي واثقة أن كل شيء سيجري على ما يرام، وكانت فيليبا تصلي من أجل هذا.

غياب روبن ترك فراغاً في حياتها، ورفضت الخروج مع أي شخص آخر. مفضلة البقاء وحدها مع الشفقة على نفسها بدلاً من التظاهر بالمرح الذي لا تشعر به.

في الليلة الثالثة أتت كاتي دون توقع لزيارتها. أوصلها السائق ووضعها في احد المقاعد ولم تتحرك واقفة إلا بعد انغلاق الباب خلف الرجل، وما زالت بطيئة في تحركها إلا أنها كانت تسير بشكل أفضل يوماً بعد يوم.

ـ كم أنت ظالمة! تتركين الرجل يحملك إلى هنا بينما أنت قادرة على السير مثله تماماً!

ـ لقد جعلني ماريوس ظالمة. أين روبن؟

ـ مسافر في عمل.

ـ انه ليس مراسلاً.

ـ ومع ذلك يسافر من وقت إلى وقت.

ـ هل تفتقدين له؟

ـ وأنت؟

ـ إنه ليس صديقي.

ـ ولا صديقي أيضاً. سأصنع الشاي لنا.

انشغلت في المطبخ، ولكنها انتبهت إلى أن كاتي أتت لتراقبها.

ـ سيكون رائعاً أن تتزوجيه يا فيليبا، فهو شخص جيد جداً لأن تتركي أخرى تستولي عليه.

ـ لماذا لا تأخذينه أنت؟

ـ بعد ثلاثة أسابيع من الآن سأكون مع آلن، ولهذا السبب يعجبني روبن لأنه يشبه آلن.

وحملت فيليبا الشاي إلى غرفة الجلوس، وغيرت الموضوع بتغيير الحديث، وبعد ساعة حضر السائق لإعادة كاتي إلى البيت.

ـ هل ستأتين لرؤيتي يوم السبت؟ لن يكون ماريوس في البيت فهو مدعو مع سيلا لقضاء نهاية الأسبوع بعيداً.

ـ نعم سآتي.

وعندما غادرت كاتي ندمت فيليبا على الوعد الذي قطعته. فدخول بيت ماريوس أصبح شيئاً لا تتحمله، تماماً كما لا تتحمل فكرة الرحلة الزائفة التي ستحملها بعيداً عن بريطانيا. وعندما ستعود، ستعود دون كاتي. وسيغضب ماريوس، ومع أنها كانت تجفل من المنظر الكريه الذي ينتظرها في الشجار معه إلا أنها كانت تعلم على الأقل أنه آخر شجار معه. وحتى ذلك الوقت سيكون قد تزوج سيلا. وعندما تنتهي هذه الرحلة ستقطع كل اتصال بماضيها وتبدأ حياة جديدة، وهذا يعني ترك شارع «فليت» وإيجاد وظيفة جديدة بعيدة عن الصحافة. هذه هي الطريقة الوحيدة لإبعاد ماريوس عن أفكارها.

١٤ ـ نهاية اللعبة

كان يوم السبت يوماً مشعاً. وكانت الشمس الشاحبة تطل من سماء زرقاء، والنسمات الناعمة تجعل العشب يتموج في حديقة «هايدبارك» بينما كانت فيليبا، تمر عبرها في سيارة أجرة، وأوقفت التاكسي، فجأة على بعد عدة مئات من الأمتار قبل أن تصل إلى المكان الذي تقصده، وتابعت ما تبقى من الطريق سيراً على الأقدام، متمتعة بهذا التمرين ومقررة أن تتوجه في نهاية الأسبوع القادم إلى الريف. وتبخر سرورها عندما ادركت أنها في الأسبوع المقبل ستكون في أوستراليا. كم سيكون ماريوس غاضباً! وصرفت الفكرة بسرعة عن ذهنها وصعدت الدرجات ودقت الجرس.

وقدمت كاتي لتحيتها، وتلك إشارة إلى أنها لوحدها بعيدة عن الخدم. وابتسمت قائلة:

ـ أنا مسرورة لأنك قررت القدوم إلى الغداء. لقد طلبت لك شيئاً خاصاً. كاحتفال بالمناسبة.

ـ بماذا نحتفل؟

ـ لا أدري، أشعر فقط بالفرح.

ونظرت فيليبا إليها بفضول، وبدت كاتي راضية عن نفسها. فقالت دون مبالاة، دون أن تندهش من مشاهدة تورد وجهها.

ـ من المنتظر أن يصل روبن اليوم.

ـ ذلك يمنحك شيئاً تحتفلين به، إذاً.

قالت الفتاة هذا، بخفة دم معتادة منها، وقررت فيليبا أن لا ترد. وكان الغداء ممتازاً، كما كان الشراب المنعش الذي قدم معه، وعادت الفتاتان وهما تشعران بالنعاس إلى غرفة الاستقبال، لتسترخيا بسماع الموسيقى، ومشاهدة السماء الزرقاء الساطعة وهي تتحوّل إلى ضبابية والشمس تختفي في الغيوم، وهما ناعستان.

واعترى فيليبا بعض الخمول اللذيذ، وعلى الرغم أنها علمت أن سببه النعاس، وليس السعادة، فقد رفضت أن تحاول تبريره. وقرع الجرس، وسمعت بعض الأصوات، ولكنها كانت شديدة التعب لتنتبه إليها، وبقيت في مقعدها، ورجلاها ممدودتان نحو النار المشتعلة. كم من الفخامة أن يكون عند المرء مدفأة نار إضافة إلى تدفئة مركزية. وتثاءبت ومدت ذراعيها تتمطى، ثم تصلبت عندما أحست بيديها وقد قبضت عليهما قبضة دافئة. ورفعت رأسها لتجد روبن.

ـ لقد عدت! كيف عرفت أنني هنا؟

ـ لقد خمنت!

ـ متى وصلت إلى بريطانيا؟

ـ قبل ساعة.

فقالت مداعبة وسرقت نظرة سريعة إلى كاتي.

ـ أنا مسرورة بأنك قدمت لتفتش عنا بهذه السرعة.

ولم يكن هناك أي ريب بالعلامات المزدوجة الحمراء التي حرقت خدا الفتاة، ولا بلمعان العينين السوداوين اللتين توقفتا عند الرجل. وترك يدا فيليبا، وذهب إلى كاتي ورفع ذقنها إليه لينظر إلى وجهها.

ـ هل أنت مسرورة لرؤيتي؟

ـ أسر دائماً لرؤية الأصدقاء. أين ذهبت؟

ـ في رحلة طويلة.. طويلة.

ـ لقد حصلت على طقس جيد، فأنت تبدو محمراً كالشمندر!

وكانت ابتسامته قصيرة، استبدلت بنظرة مزيج من الحزن والتوتر.

ـ ما قولك بمفاجأة حلوة؟

ـ أقول نعم! هل أحضرت شيئاً لي؟

ـ من الممكن أن تقولي هكذا.

والتفت، وسار بمحاذاة فيليبا، فرأت أن التعبير على وجهه ما زال متوتراً. وفتح الباب، وأشار إلى شخص في الخارج ثم تراجع ليسمح له بالدخول، وصرخت كاتي.

ـ آلن!

ـ مرحبا كاتي.

وتقدم إلى الأمام ويداه في جيب سترته، ووجهه ينبض بابتسامة متوترة. فقال روبن:

ـ بالنسبة لزوجين من عصافير الحب، لا تبدوان محبان كثيراً!

وتحركت كاتي، ونهضت ببطء على قدميها، وتقدمت المسافة بينها وبين آلن. وقالت دون ثبات:

ـ أستطيع السير.

ـ أرى ذلك. لم أظن أبداً أنك ستسيرين مجدداً، لقد قال عمك...

ـ لقد قلت لك أن لا تصدقه.

وتخللت وجه آلن نظرة إرتباك ولكن كاتي بدت وكأنها لم تلاحظها، وقالت:

ـ لا أصدق أنك عدت. لقد كنت ذاهبة إليك بعد اسبوعين. لقد اشتريت التذاكر وحضرت كل شيء. ماريوس لا يعلم شيئاً، بالطبع ولكن....

وقاطعها آلن:

ـ لقد أخبرني روبن ما كنت تخططين له، مما أجبرني على العودة معه.

ـ أجبرك، ماذا تعني أنك عدت معه؟ أنا لا أفهم.

ونظر آلن من فوق كتفه إلى روبن، واتكأ بصمت على الباب، ويداه مكتفتان على صدره. وكشخص سهل المراس ولطيف، بدا غاضباً

بشكل خاص، وكأنما أفكاره كانت غير سارة. وأدرك أنه لوحده مع أفكاره، فالتفت إلى كاتي.

ـ لقد سافر روبن ليقابلني. لقد قال لي انك تنوين الانضمام إليّ و... ولقد أقنعني أنك لو كذبت على عمك هكذا فلن يسامحك أبداً.

ـ لا أهتم له! كنت قادمة لأنني أريد أن اكون معك.

وسألها روبن، متحدثاً إليها للمرة الأولى منذ دخل آلن إلى الغرفة.

ـ أردت أم تريدين؟

وحدقت به، وحتى عبر تلك الحافة، بدت نظرتها مسمرة ببعضها.

ـ لا أدري ماذا تقصد.

ـ بل تدرين. لأجل السماء كوني صادقة مع نفسك، إذا لم يكن مع الآخرين. هل تريدين أم كنت تريدين أن تكوني مع آلن؟

واستدارت كاتي عنه وتحركت نحو آلن، وكان اللون يأتي ويذهب عن وجهها، كما كان يحصل معه، ولكنها لم يحاولا أن يتلامسا، وبعد برهة طويلة، رجعت وجلست على كرسي قريب. ثم همست:

ـ ماذا حدث؟ لقد كنت اعدّ الساعات لنلتقي، وأنت الآن هنا... لا أفهم. ساعدني يا آلن.

ومرة أخرى استدار لينظر إلى روبن، الذي كان لا يزال يحدق به بحقد، وهزّ آلن كتفيه وتحرك إلى قرب كاتي، وقال بخشونة:

ـ الطريقة الوحيدة لمساعدتك هي أن أقول الحقيقة، ولن تعجبك، ولكنني يجب أن أفعل. ما عدت من جله هو...

وأخرج طرف لسانه يمرره على أطراف شفتيه، وهي إشارة متوجسة نتم عن الخوف.

ـ لولا روبن لما عدت. لقد اشترى لي تذكرة السفر. وهددني بـ..... لقد جعلني أدرك أن الأمور ستكون سيئة لي إذا تركتك تأتين إلى اوستراليا دون إعلامك بالحقيقة.

ـ أية حقيقة؟

- إن قدومك سيخرّب كل خططي.
- خططك لماذا؟
وتردد وكان الإحراج بادياً عليه.
- سأؤسس ورشة عمل خاصة بي.
- لقد كنت تخطط لهذا منذ أن كنت هنا.

- لكن لم يكن لديّ فرصة لأحقق خططي! لذا ذهبت إلى اوستراليا. وبالمال الذي أعطاني إياه عمك سنحت لي الفرصة لأحصل على ورشتي الخاصة قبل أن أصبح كبيراً في السن جداً لأحصل على مثلها!

وبدت كاتي شرسة النظرات، وكأنما هي فهمت ولكنها تخاف أن تعترف لنفسها.

- أنا لا أفهم. أعرف أن ماريوس اوجد لك عملاً واشترى لك تذكرة السفر، ولكن...

- لقد فعل أكثر من هذا. لقد أعطاني ثلاثة آلاف جنيه أيضاً، ووعدني بنفس الكمية كل سنة إلى أن أوفر ما فيه الكفاية لأفتح لنفسي ورشة خاصة بي. وبماله، إضافة لما أكسبه، سأتمكن من ذلك في ثلاث سنوات. ولن تكون ورشة بسيطة، ستكون مكاناً مثيراً. سأكون قادراً على ضبط وإصلاح أية سيارة في العالم! لهذا عدت مع روبن. كان يجب أن أحذرك من القدوم إليّ. فلو فعلت، سيدمر هذا كل شيء.

وقفزت فيليبا على قدميها. وتفكيرها منصب على أن تقف إلى جانب كاتي. ولكن فيما هي تتحرك إلى الأمام، منعتها ذراع روبن، وجلست بهدوء مرة أخرى، مدركة أن كاتي يجب أن تترك لوحدها لتجد الكلمات المناسبة لمأساتها. وقالت كاتي بصوت ارتفعت وتيرته:

- ماذا تحاول أن تقول لي؟ إننا إذا أصبحنا مع بعضنا سيتوقف عمي عن إعطائك ثلاثة آلاف جنيه كل سنة. وان من الأفضل لك أن تحصل على ماله وعلى ورشتك الخاصة اكثر من الحصول عليّ.

- لا أستطيع إعالتك إلاّ إذا كنت في وضع لائق.

- لا أظن أن إعالتي لها علاقة بالموضوع.

لم تكن كاتي ابنة أخ ماريوس من أجل لا شيء، والاحتقار الذي ظهر في صوتها كان بارزاً.

- كنت ستتزوجني لو أنك متأكد أنك ستحصل على مال ماريوس أيضاً. ولكن بما أنه أقنعك الآن انك ستحصل على احد الأمرين فقط، فضلت الحصول على المال.

- لم يكن لديّ خيار آخر. لقد قال لي إنك لن تتمكني من السير أبداً. وقال انني إذا أخذتك معي سيغسل يديه منك.

- لم نكن نحتاج لمساعدته، كنا سنتدبر أمرنا.

- إنك تتكلمين هكذا لأنك لا تعرفين ماذا يعني العيش اعتماداً على الراتب. لقد حصلت دوماً على كل شيء رغبت فيه و....

- يتزوج الزوجان وهما يكسبان أقل بكثير مما تكسب أنت.

- الزوجان العاديان، نعم، ولكن ليس عندما تكون الزوجة مقعدة. وهذا ما قال ماريوس انك ستكونينه، كيف لي أن أعلم أنه كان كاذباً؟

- كان بإمكانك أن تسأل الطبيب.

- لو أنني ذهبت لرؤية الطبيب لرماني خارجاً وهو يجرني من أذني.

- إذاً كان بإمكانك أن تسألني.

- كيف أفعل هذا؟ لقد قال عمك انك لا تعرفين كم أنت مريضة.

- كان لا يزال هناك شيء تستطيع فعله، لا أعرف ماذا، ولكن... ولكن أنا متأكدة من وجود شيء ما.

- لم يكن الأمر سينجح يا كاتي لو بقيت كل عمرك في الكرسي المتحرك. وهذا ما أرعبني أكثر من أي شيء آخر. كنت قادراً على تدبير جزء من المال... أقر بذلك... ولكن ما كنت عاجزاً عن مواجهته أن اكون مرتبطاً بمقعدة. لذلك قبلت عرض عمك.

- لماذا لم تخبرني الحقيقة؟

ـ لم أرغب في إيلامك.

ـ هل كنت ستتزوجني لو لم يقل ماريوس انه سينفض يده مني إذا هربت معك مرة أخرى؟

ـ طبعاً كنت سأتزوجك. على الأقل بمساعدته لي كنت استطيع ان امنحك الترف المتعودة عليه. وان أجد لك من يعتني بك و...

ـ وفر عليّ التفاصيل. لقد كان عمي محقاً. فما رغبت به هو ماله. وأنا في الدرجة الثانية.

ـ لا تشعري بالمرارة هكذا، كاتي.

ـ لا أشعر بالمرارة، ولكنني فقط غاضبة لأن ماريوس كان محقاً.

ـ هل ستقولين له شيئاً؟ اعني ليس هناك من سبب لأن تقولي له.

تستطيعين الذهاب في رحلتك كما هو مقرر، ولن يعرف بشيء عما كنت ستفعلينه.

ـ أظن انه سيجد إطلاعه على الحقيقة مسلياً. سيعطيه هذا فرصة ليقول لي «اخبرتك بالأمر!».

ـ سيكون غاضباً منك، لا تقولي شيئاً يا كاتي.

ـ لا تهتم بي يا آلن، إذا طردني ماريوس، لن ألجأ إليك! على كل ستخرج من القصة بريئاً ناصع البياض. سأقول لماريوس انك كنت حريصاً على عدم تراجعك عن الاتفاق بينكما بحيث انك أسرعت بالعودة من اوستراليا لتقنعني بعدم القيام بأي عمل. فربما يقرر ان يزيد لك المبلغ لتبقى بعيداً عني!

ـ لا تجعلي الأمر يبدو هكذا.

ـ وبأية طريقة تحب أن أجعل الأمر يبدو؟ ربما تفضل ان أقول له ان يتوقف عن إرسال المال لك؟ على كل إذا لم تعد لي الرغبة في الزواج منك. فلن يحتاج لأن يدفع لك لتبقى بعيداً عني!

وانقلب لون آلن إلى لون أصفر كالمريض، وعندما شاهدته كاتي على هذه الصورة ضحكت بقساوة.

ـ لا تقلق، لن أدعه يفعل. مساعدتي لك لتشتري ورشتك سيكون ثمناً بسيطاً أدفعه لأعرف نوعيتك كإنسان.

ـ كان من الممكن أن تخدمنا الظروف، لو أن الحادث لم يحصل. كنا سنكون متزوجين الآن.

ـ أنا مسرورة إننا لم نتزوج. أنا احتقر نفسي، ولكنني لست حقيرة بما فيه الكفاية لأستحقك!

واستدار آلن على عقبيه وانصرف. وحدق روبن بكاتي وغادر الغرفة أيضاً، حريصاً على اغلاق الباب خلفه.

ولم تعرف فيليبا ما عليها ان تقول أو تفعل. فقد كانت هناك نظرة على وجه كاتي منعتها من تقديم العطف لها، وهكذا بقيت حيث هي منتظرة وسألتها كاتي فجأة.

ـ لماذا لا أشعر بالأشياء كما يجب؟ هل تظنين أن ذلك بسبب انني أشعر بالأذى الكثير بحيث انني أصبحت مخدرة؟

ـ ربما لم تتأذي بالمرة. قد يكون ذلك كبرياؤك فقط.

ـ لن يتبقى لك الكثير من الكبرياء عندما تمضين اربعة أشهر في كرسي متحرك كل ما أشعر به هو نوع من الراحة.

ـ إذاً يجب أن نكون ممتنين لآلن لقدومه إلى هنا، على الأقل أنقذك من رحلة غير ضرورية.

ـ روبن هو الذي وفر علينا الرحلة وليس آلن. قولي لي الحقيقة فيليبا هل كنت تعلمين شيئاً حول ذهابه إلى اوستراليا حقاً؟

ـ أبداً، قطعاً.

ـ أتوقع أن يكون ماريوس قد أرسله. ربما كان خائفاً أن أحاول الذهاب إلى آلن وقرر أنني يجب أن أعرف الحقيقة قبل أن أجعل من نفسي حمقاء.

ـ لماذا لا تسألين روبن. فهو هنا الآن.

ـ سأفعل.

وسمعنا الباب يفتح ودخل روبن ولوحت كاتي بيدها بإشارة آمرة للرجل الأشقر الطويل الذي وقف على مسافة منها.

- هل أرسلك ماريوس لتأتي بآلن؟

- لا، فعمك يعتقد أنني ذهبت بإجازة الى سكوتلندا. السفر إلى اوستراليا كان فكرتي الخاصة.

- ولكن لماذا؟ لم تكن تعلم بالترتيبات التي كانت بين ماريوس وآلن.

- كنت أعرف فقط انني لم أصدق روايتك لما حدث. لم أكن استطيع تصوّر عمك ذلك النوع من الرجال الذي قد يمنعك من الزواج من شخص يعتقد حقاً أنه يحبك، لو كنت على وفاق تام مع السيد ليون، لوقفت في وجهه أسأله أن يقول الحقيقة، ولكن على الرغم من أنني وقعت في حب ابنة اخيه، فلم أشعر ان لديّ الحق لسؤاله عما فعل. والطريقة الوحيدة للمعرفة كانت بسؤال الشخص الوحيد الذي يعرف، أي آلن.

- وهكذا سافرت الى اوستراليا وانقذتني من أن أجعل من نفسي حمقاء.

- وانقذتك أيضاً من إيذائك لعمك. لا لزوم لأن يعرف ماذا كنت تنوين.

- لقد نويت أن أقول له الحقيقة، سيكون ممتناً لك جداً. وقد يجعلك رئيس تحرير احدى صحفه، الا تريد أن تصبح رئيس تحرير؟

- بجهودي الخاصة فقط. لم أذهب إلى اوستراليا لرغبتي في تحسين مستقبلي العملي.

- أعرف هذا، فقد اعترفت لتوك أن السبب هو حبك لي. ولقد جاء دوري الآن لاعترف.

ونهضت لتذهب إليه. وعلقت قدمها بالسجادة فتعثرت وأمسكت بأحدى الكراسي لتنقذ نفسها من السقوط.

- لقد كنت مستعدة للذهاب حول نصف العالم الى رجل غير

موجود! وأنا الآن لا أستطيع السير حول نصف الغرفة لأصل إليك!

وبخطوتين أصبح قربها ورفعها الى الأعلى ووضعها في المقعد.

- لا زال أمامك وقت كبير لتتحسني. ولكنني أحبك وأريد أن انتظرك.

- وكم يلزمني من وقت لانمو؟

ووضعت ذراعاها حول عنقه، فتسللت فيليبا من الغرفة، وهي لا تزال مندهشة بالسهولة التي تقبلت فيها كاتي الحقيقة حول الن. وبسخرية مريرة أدركت أن تقييم ماريوس لابنة أخيه كان أفضل من تقييمها. ربما تكون جهود سيلا لإبقاء كاتي طفلة، جعلها تتجه بعماء الى أول رجل جعلها تشعر أنها أنثى. ولكن ذلك أصبح من الماضي. فمستقبل كاتي يوجد فيه روبن.

الفرحة بمستقبل صديقيها جعلها تلاحظ سواد مستقبلها. فماريوس أيضاً سيتزوج، والتفكير به مع سيلا كان يسبب لها ألماً بحيث عرفت أنها لن تقدر على الاستمرار بالعمل له. ستقدم لكيندي استقالتها يوم الاثنين ولكن في الوقت الحاضر ستذهب الى شقتها وتبقى هناك.

وأصبحت في منتصف طريقها الى الباب الخارجي عندما أوقفها صوت روبن.

- إلى أين تتسللين فيليبا؟

- ظننت أنك وكاتي تفضلان البقاء وحيدين.

- كفي عن هذا.

وفتح الباب وراءه وأشار إليها بالدخول الى غرفة الاستقبال. وفعلت بتردد، وتبدد ترددها بالحبور الذي رأته على وجه كاتي المتألق.

- هل تظنين أن ماريوس سيوافق على روبن؟ أم علي أن أهرب معه أيضاً؟

- أنا واثقة أنه سيوافق.

- إذاً، ربما استطاع أن يقنع روبن باختصار سنة الخطوبة.

وقاطعها روبن باصرار.

ـ لن اغير رأيي ابداً. اريد أن اتأكد بانني لم أحصل عليك كردة فعل منك.

ـ أنت تعرف أن هذا ليس صحيحاً. لو لم أكن غاضبة من ماريوس لما كنت متصلبة الرأي هكذا حول الن.

ـ ومع ذلك فنحن لسنا مستعجلين على الزواج، أريدك أن تذهبي في رحلتك، رحلة حقيقية، وليس تسللاً هذه المرة، والذهاب الى مكان آخر.

ـ أنت متوحش.

ـ وعندما تعودين، سأعود الى التودد إليك بالطريقة القديمة الطراز.

ـ ستغضب سيلا. فلن تستطيع جعل ماريوس يرفضك، وعندما اتزوج ستصبح أيامها هنا معدودة. ستضطر إلى إيجاد مكان تعيش فيه.

وقالت فيليبا دون تفكر:

ـ ليس الآن.

وتوقفت بعد أن شعرت بأن زوجين من العيون يحدقان بها بفضول. فقد تذكرت متأخرة وعدها لماريوس بأن لا تقول شيئاً حول زواجه.

ومع ذلك فليس هناك ضرورة لإبقاء السرية حول شيء لم يعد يهم كاتي. فقالت لها:

ـ عمك سيتزوج سيلا.

ـ لا تكوني سخيفة. في وقت ما كنت خائفة أن يفعل، ولكن ليس بعد الآن. يجب أن لا تصدقي كلمة مما تقوله سيلا. إنها امنياتها فقط.

ـ لم تكن سيلا التي أخبرتني فقط بل ماريوس أيضاً.

ـ هل أخبرك ماريوس بهذا؟ متى؟

ـ ليلة الحفلة.

ـ ولماذا لم يخبرني؟

ـ يعلم أنك لا تحبين سيلا. لهذا أبقى الأمر سراً. أظن أنهما ينويان أن... أن يتزوجا أثناء قيامك بالرحلة.

وسألت كاتي روبن:

ـ هل تظن ذلك؟

فقال «من الممكن» ورددت فيليبا «إنها الحقيقة» وخوفاً من أن تنفجر بالبكاء على الرغم ممن يراقبها استدارت نحو الباب.

ـ سأذهب الى المنزل، إذا كنتما لا تمانعان.

ودون أن تنتظر الرد، ركضت نحو الردهة. ووصلت الى المدخل عندما أسرع روبن خلفها قائلاً:

ـ سأرافقك الى المنزل. وأريد أيضاً أن اعتذر. فكاتي وأنا كنا مشغولين بحيث لم نلاحظ كيف تشعرين.

ـ أشعر بشكل جيد. وأنا مسرورة لكما.

ـ كنت أشير إليك والى ماريوس. كنت آمل أن تتجاوزيه. ولكن من الواضح أنك لم تفعلي.

ـ سأفعل.

ومرت سيارة تاكسي وأشارت إليها بالتوقف.

ـ لا تزعج نفسك بمرافقتي روبن فأنا أفضل الذهاب وحدي.

ـ سآتي معك في الطريق فقط.

ـ لا.. أرجوك عد الى كاتي. أفضل البقاء لوحدي.

شعرت فيليبا بالضيق من وحشة شقتها، وسارت بقلق من غرفة النوم الى غرفة الجلوس الى المطبخ. كان من المستحيل عليها أن تغلق أفكارها عن كل شيء مما حصل اليوم، وزادت ذكرى السعادة التي تنتظر كاتي وروبن من شفقتها على نفسها. وقررت أن تقوم بعمل ما، ولحسن الحظ أنها جلبت معها رزمة من الرسائل، وبدأت تراجعها، ولكن حتى إغراق نفسها في مشاكل الآخرين لم يساعدها على نسيان مشاكلها، ودفعت كومة الرسائل عنها، وأراحت رأسها بين يديها.

حمداً لله أنها جعلت ماريوس يعتقد أنها مخطوبة لروبن، على الأقل قد لا يجعله هذا أن يعرف الحقيقة خلف استقالتها من الجريدة. قد

يظن أنها لا تريد أن تستمر في العمل الى جوار روبن، بدلاً عن رغبتها في أن تكون بعيدة عنه. وذهبت الى المطبخ لتعد فنجاناً من الشاي، ومرت عبر الردهة فشاهدت صورتها في المرآة. كم هي شاحبة ونحيلة! لا عجب أن يشعر روبن بالأسف عليها. ولمست الجلد الداكن تحت عينيها، ثم استدارت هاربة من الحزن العميق فيهما.

ورن جرس الباب بحدة، وتوقفت، ورن مرة أخرى وانقلبت دهشتها الى قلق فأسرعت الى الباب قائلة، دون أن تفتحه:

- من الطارق؟

- ماريوس.

وبدأ قلبها يدق بعنف، فماذا يفعل في لندن ولماذا هو خارج باب شقتها؟ وقال لها آمراً:

- افتحي الباب.

وارتعشت أصابعها على مقبض الباب وفتحته على مصراعيه، ودخل، مالئاً الردهة بطوله وحجمه.

- ظننت... ظننتك، قد ذهبت لقضاء عطلة... عطلة الأسبوع.

- لم أستطع مواجهة يوم آخر منها. كان يجب علي أن أراك.

- أنا.

وأصبح فمها جافاً ووجدت صعوبة بالكلام حتى أنها قررت أنه من الأسلم لها أن لا تتكلم. فقال لها بسرعة:

- نعم انت.. ولكن نصف الأشياء التي خططت أن أقولها لا تبدو ضرورية بعد الآن.

وأمسك بذراعها وجرها الى غرفة الجلوس.

- أية لعبة تلعبين؟ لماذا جعلتني أصدق أنك مخطوبة لروبن؟ بينما... وهزها بعنف هزة جعلت أسنانها تصطدم.

- لماذا أردتني أن أصدق أنه سيتزوجك؟

لم تقدر على التفكير بأية كذبة معقولة قد ترضيه، لأنه كان يحدق بها

بغضب كبير حتى أنها شعرت أن لا شيء تقوله سيلاقي موافقة منه. وصرخ:

- حسناً، أنا منتظر لردك.

- لست مضطرة للجواب. فلست وصياً علي.

- سأصبح وصياً عليك!

كان لا يزال يصيح، وعندما أدرك ذلك أخفض صوته فجأة وقال بصوت مضطرب:

- فيليبا، ألم تسمعي ما قلته؟

- نعم.

واستفادت من تخفيف قبضته عنها، وابتعدت لتصبح مسافة الغرفة بينهما. كم كانت المسافة صغيرة، مسافة من الممكن قطعها في ثلاث خطوات. وخطوتين لماريوس. وقالت له بابتهاج:

- أنا واثقة أنك مسرور حول كاتي وروبن. وافترض أنك تحب أن... أن تشكرني. ولكن... ولكن ليس من الضرورة أن تفعل. لقد رميت رمية طويلة المدى، واخطأت.

- إن رغبتي في استبقائك ليس لها علاقة بعرفاني بالجميل لادخالك روبن الى حياة كاتي. فأنا أريدك أنت، فيليبا، وأنا متأكد تماماً انك تريدينني.

- أنا لا أريدك.

- أنت تريدينني، هكذا قالت كاتي..

- كاتي؟ - قالت فيليبا هذا صارخة وقد عرفت على الفور ما حدث، لقد اخبر روبن كاتي أنها تحب ماريوس. واخبرت كاتي عمها دون قصد.

- أنت بالتأكيد لا تصدق كل ما تقوله لك كاتي؟ إنها أسوأ كاذبة في العالم. ولا يعني أنني إذا عبثت معك أنني أريدك. أنت جذاب جداً ماريوس ورجل مهم. وهذا كاف لادارة رأس أية فتاة!

واصبحت بشرته أكثر احمراراً مما جعل شعره أكثر رمادية، واظهر لها كم أصبح أبيضاً عند الجوانب، وسألها.

ـ ولماذا تكذب كاتي علي؟

ـ تقول أي شيء قد يمنعك من الزواج بسيلا، وانت تعرف هذا.

ـ آه.. نعم.. سيلا.

وخطا ماريوس الى الأمام واصبح أقرب إلى فيليبا، وقال لها:

ـ لقد نسيت سيلا.

ـ ظننت أنكما... أنت تحب النساء كثيراً ماريوس، ولكن حتى في هذا السن المتسامح الرجال عادة لا يحتفظون بخطيبة وعشيقه في آن واحد!

ـ ليس لدي أي منهما. وفي الأشهر الأربعة الأخيرة لم أصادق امرأة أبداً.

ـ لا يمكن أن يكون ذلك لعدم توفر الفرص.

ـ لعدم توفر الرغبة. فإذا لم أتمكن من الحصول على المرأة التي أريدها فلن ارغب في أية امرأة.

وبقي في مكانه، ومع ذلك فإن الجاذبية التي تبعث منه بدأت تغمرها، وسرت الرعدة في جسدها، حتى بدأت ترتجف.

ـ أنا مندهشة من محاولة سيلا الجادة أن...

ـ بحق الشفقة! ألا تعرفين ما أحاول أن أقول؟

ورفضت فيليبا أن تصدق ما يقوله لها عقلها. فهي تريد ماريوس يائسة بحيث أنها كانت خائفة أن تجعلها حاجتها له ترى في كلامه أكثر مما فيه. ومن مكان ما في داخلها وجدت مصدراً للقوة مما أعطاها الشجاعة لترفع رأسها وتنظر إليه بثبات.

ـ الشفقة هي آخر شيء احتاجه ماريوس. فإذا كنت تريد أن تظهر لي مدى سرورك لجمعي روبن مع كاتي، فاجعل كنيدي يعطيني شهادة عمل جيدة.

ـ شهادة عمل؟

ـ عندما أترك العمل. لقد أردت أن أحصل على وظيفة في الخارج منذ مدة طويلة، ولكنك تلاعبت بعقدة الذنب عندي لتجعل من المستحيل علي الذهاب. وبما أن كاتي حصلت على روبن الآن، أصبحت حرة.

ـ لست حرة. فأنت لي.

ومد يده ورمى الكرسي بينهما الى الأرض لتتحطم وكرر:

ـ أنت لي!

وجذبها نحوه بقوة حتى كادت أنفاسها تخرج من جسدها.

ـ لن أتركك تذهبين أبداً، وإذا كانت كاتي مخطئة وانت لا تحبيني، ساجعلك تغيرين رأيك، حتى لو لزمني ما تبقى من حياتي لأفعل.

ـ كيف تكلمني هكذا، ستتزوج من سيلا، أنت أخبرتني بهذا.

ـ لقد قلت انك ستتزوجين روبن، وكنت تكذبين، هل تظنين أن النساء وحدهن لديهن كرامة؟

ـ أتعني...

ـ أعني أنني أحبك! أنت فقط! عندما قلت انك مخطوبة تلك الليلة في الحفلة. كنت سأقتلك. وعندما سألتني عن سيلا تركتك تعتقدين ما تريدين. ومن اللحظة التي قابلتك فيها، لم يكن هناك سواك. وهذا ما ارهق اعصابي. أنا لا اتمتع بعزوبيتي.

وصرخت، وهي ترتجف ما بين الضحك والدموع.

ـ مسكين يا ماريوس.

ـ أنا مسكين فعلاً دونك.

وأدرك أنها ما زالت غير مرتاحة فحرك رأسه ونظر الى عينيها.

ـ ماذا يشغل فكرك بعد؟

ـ سيلا، لقد أخبرتني أنها ستتزوجك. لقد قالت ذلك فعلاً.

ـ لأنها تعرفك يا عزيزتي، فقد قفزت الكلمات الى فمها على الأرجح.

وحاولت فيليبا أن تتذكر، ولكنها كانت شديدة الشعور بالذراعين اللتين تحضنانها بحيث أنها لم تكن قادرة على التفكير، إضافة الى ذلك ماذا يهمها الماضي عندما يكون المستقبل بهذه الروعة؟

وارتجفت بعنف، واحتضنها ماريوس بين ذراعيه بشدة. وجلس معها والتصقت به قائلة:

ـ أنا لك يا ماريوس!

ـ ليس قبل أن أضع خاتم الخطوبة في أصبعك، بعد ثلاثة أيام أيتها الشابة. لا أرغب أن تقولي إنني أغويتك للزواج مني.

ـ وهل تمانع في أن تقول؟

ـ أبداً.

ـ هكذا إذاً.

ووضعت ذراعاها حوله.

WWW.RWITY.COM
مـر مـوريـة